



إطالة البدر بفضائل وأسرار

يَدُ الْقَدَرِ

إطالة البدر بفضائل وأسرار

ليد البدر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ

ردمك: ٢ - ٠٦٩١ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

رقم الإيداع: ١٤٣٣ / ٧٥٤٣

المراجعة اللغوية

مي بنت سليمان بن محمد الماجد

تصميم الخطيب

0554267436





المقدمة

الحمدُ لله عالمِ السِّرِّ والجهرِ، وقاصِمِ الجبابرةِ بالعزِّ والقهرِ، مُحْصِي قطراتِ الماءِ وهو يَجْرِي في النَّهْرِ، وباعثِ ظلامِ الليلِ ينسخُه نورُ الفجرِ، موفِّرِ الثوابِ للعابدينَ ومكْمِلِ الأجرِ، العالمِ بخائنةِ الأعينِ وخافيةِ الصدرِ، شَمَلِ برزقهِ جميعَ خلقه فلم يتركِ النملَ في الرَّمْلِ ولا الفرخَ في الوكرِ، أغنى وأفقَرَ وبِحكْمَتِهِ وقوعَ الغنى والفقرِ، وفضَّلَ بعضَ المخلوقاتِ على بعضٍ حتى أوقاتَ الدَّهرِ، ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ، أحمدُه حمداً لا مُنتهى لعددهِ، وأشكره شكراً يستجلبُ المزيدَ من مددِه، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحده لا شريكَ له شهادة مخلص في مُعتقدهِ، وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسوله الَّذي نَبَعَ الماءُ من بينَ أصابعِ يدهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وعلى أبي بكرٍ صاحبه في رخائه وشدائدهِ، وعلى عمرَ بن الخطابِ كهفِ الإسلامِ وعُضدهِ، وعلى عثمانَ جامعِ كتابِ الله وموحِّدهِ، وعلى عليٍّ كافي الحروبِ وشجعانها بمُفردِه، وعلى آلِه وأصحابه المحسنينَ كلِّ منهم في عمله ومقصدهِ، وسلِّم تسليماً^(١).

(١) مقتبس من (مجالس شهر رمضان) لشيخنا ابن عثيمين - رحمه الله - ص ١٢٠.

أما بعد:

فهذه مسائل دونتها، وفضائل سطرتها في أعظم وأشرف الليالي ليلة القدر، فهي والله سيدة ليالي الدنيا، أنزل الله سورة خاصة في فضائلها، فهي الليلة التي أنزل فيها القرآن أعظم الكتب السماوية، وهي خير من ألف شهر، وفيها تنزل الملائكة ومعهم جبريل -عليه السلام-، وهي سلامٌ حتى مطلع الفجر، وهي الليلة المباركة، وهي الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، وهي ليلة الشرف والقدر العظيم، ومن قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، وهي الليلة التي كان يحث نبينا -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أصحابه والأمة من بعدهم على تحريها وإدراكها، وهي الليلة التي كان النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يجتهد في طلبها، فكان يعتكف ويخلو بنفسه ويسهر الليل حتى الصباح لكي يحصل فضلها، فهي ليلة عظيمة جليلة، من حصل خيرها فقد فاز وسعد.

لأجل تلك الفضائل والمناقب التي خصّها الله بها؛ عزمت على التفقه والتدبر في ما أنزله ربنا فيها، وما أخبرنا به نبينا -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من حالها وفضلها، فكان هذا الكتاب والذي سمّيته:

«إطالة البدر بفضائل وأسرار ليلة القدر»، والحمد لله رب العالمين فقد وقفتُ على فوائد جَمَّة، وجمعتُ مسائلًا وفضائلًا، وحصلتُ خيرًا عظيمًا وعلماً نافعا مما قيَّده العلماء في تفسير الآيات الخاصة بهذه الليلة، ونهلتُ من الفوائد والمسائل التي طرحها العلماء في شروحهم على كتب السنة وكتب الرقائق وغيرها من الكتب، فكم كنت أتمنى أن أُخْرِجَ كثيرًا مما وقفت عليه، لكن الوقت قد ضاق، ودخل شهر رمضان لهذا العام -عام ١٤٣٣هـ-، ولم يسعني الوقت، إذ أن بعض المسائل تحتاج إلى تحرير، فخشيت ألا يخرج الكتاب هذا العام، هذا مع ضعف همم عامة الناس في القراءة، فكان كتابًا وسطًا أو دون ذلك، ليس بالطويل المُمَلِّ ولا بالقصير المُخِلِّ، اعتمدت فيه أسلوبًا سهلًا، وإخراجًا آمل أن يروق الجميع، عسى أن يجد طالب العلم فيه. بغيته، وينال العامي مطلبه، والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به وكل من نظر فيه، وهو والله جهد المقل، أسأل الله أن يقبل به العثرات، ويغفر به الزلات، وأسأله أن يبلغني وجميع المسلمين ليلة القدر كل عام، وأن يفيض علينا من خيراتها وبركاتها وهو المنان الكريم الرحمن، والله الحمد كله، والفضل كله، فلولا كرمه وجوده وإحسانه وإعانتة ما سطرت في

هذا الكتاب حرفاً، فلا حول ولا قوة إلا به، ولا رب لنا سواه، وما لنا غيره من إله، وهو الموفق وحده، (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

عمر بن محمد العويضي

- غفر الله له ولو لديه -

في أطهر البقاع مكة - حرسها الله -

يوم الجمعة، الثامن من رمضان

سنة ألفٍ وأربعمائةٍ وثلاثٍ وثلاثين من الهجرة

٨-٩-١٤٣٣ هـ



تاج الليالي

قال -تعالى-: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ سورة القدر.

«لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ يُفْتَحُ فِيهَا الْبَابُ،

وَيُقَرَّبُ فِيهَا الْأَحْبَابُ،

وَيُسْمَعُ الْخُطَابُ،

وَيُرَدُّ الْجَوَابُ،

وَيُكْتَبُ لِلْعَامِلِينَ عَظِيمُ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ»

ابن الجوزي^(١).



(١) التبصرة (٢-١٠٤) بتصرفٍ يسير.

سيدة الليالي

ليلة القدر سيدة الليالي، وغرة الدهر، أفضل الليالي على الإطلاق.
ليلة القدر تاج الليالي خير من ألف شهر، عظم الله شأنها في كتابه،
فأنزل في فضلها سورة كاملة تتلى إلى يوم القيامة.

ليلة القدر من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

ليلة القدر ليلة مباركة نزل فيها القرآن، فيها يفرق كل أمر حكيم،
تقدر فيها المقادير السنوية.

ليلة القدر هي ليلة الشرف والفضل العظيم، ينزل فيها جبريل مع
الملائكة بالرحمة والخير والمغفرة.

ليلة القدر سلام حتى مطلع الفجر، ليس فيها إلا الخير.

ليلة القدر فيها الدعاء يُجاب، ويفتح الباب، وَيُقَرَّبُ فِيهَا الْأَحْبَابُ،
وَيُسْمَعُ الْخُطَابُ، وَيُرَدُّ الْجَوَابُ وَيُعْطَى لِلْعَامِلِينَ عَظِيمُ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ.

ليلة القدر ثبت فضلها على كل الليالي بالكتاب والسنة، فهي أفضل
الليالي، أفضل من ليلة الجمعة، ولا يُقَارَنُ فضلها وعلو مكانتها بليلة

الجمعة، وجاء عن بعض علماء الحنابلة أن ليلة الجمعة أفضل^(١)، وهو قول ضعيف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليلة القدر أفضل الليالي، ومن العجب أن طائفة من أصحاب أحمد فضلوا ليلة الجمعة على ليلة القدر، ورأوا أن إحياءها أفضل من إحياء ليلة القدر، وقد ثبت في الصحيح النهي عن تخصيصها بقيام؛ مع أنه ثبت بالتواتر أن ليلة القدر أمر الله بالقيام فيها، وأنه - صلى الله عليه وسلم - حَصَّ على قيامها، وأنه لا عدل لها في ليالي العام»^(٢).

وبعض جهلة الصوفية يفضلون ليلة المولد على ليلة القدر، وليس لهذا التفضيل أصل صحيح معتبر.



(١) وهذا القول قال به من الحنابلة: ابن بطة، وأبي الحسن الجوزي، وأبي حفص البرمكي؛ وحجتهم أن يوم الجمعة أفضل الأيام، فليلته تابعة له، وقالوا بأن ليلة الجمعة تتكرر، وفي يومها فضائل ليست في يوم ليلة القدر، وأن فضلها باقٍ في الجنة، وهو فضل يوم الجمعة، فهو يوم الزيارة إلى الله - سبحانه - وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ التَّيْمِيُّ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي أُنزِلَ فِيهَا الْقُرْآنُ أَفْضَلُ مِنْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، فَأَمَّا أَمْتَالُهَا مِنْ لَيَالِي الْقَدْرِ فَلَيْلَةُ الْجُمُعَةِ أَفْضَلُ. انظر (الفروع) لابن مفلح (٥-١٢٩).

ولا حجة فيما ذكروا، فما ثبت من فضل ليلة القدر لا يصل إليه فضل ليلة الجمعة أو يومها، ثم إن فضل اليوم غير فضل الليلة، ويوم الجمعة يوم له فضلٌ عظيمٌ وهو أفضل أيام الأسبوع، ومع ذلك فما ثبت في فضله لا يصل إلى فضل ليلة القدر ولا يُقدَّم عليه.

(٢) المستدرک علی مجموع فتاوی شیخ الإسلام (٣-١٧٩).

وأيهما أفضل: ليلة القدر أو ليلة الإسراء؟

يجيب على هذا شيخ الإسلام ^(١) - رحمه الله - بقوله: «إِنَّ لَيْلَةَ
الإِسْرَاءِ أَفْضَلُ فِي حَقِّ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ أَفْضَلُ
بِالنُّسْبَةِ إِلَى الْأُمَّةِ، فَحَظُّ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي اخْتَصَّ بِهِ
لَيْلَةُ الْمِعْرَاجِ مِنْهَا أَكْمَلُ مِنْ حَظِّهِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

وَحَظُّ الْأُمَّةِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَكْمَلُ مِنْ حَظِّهِمْ مِنْ لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ، وَإِنْ
كَانَ لَهُمْ فِيهَا أَعْظَمُ حَظًّا، لَكِنَّ الْفَضْلَ وَالشَّرْفَ وَالرُّتْبَةَ الْعُلْيَا إِنَّمَا حَصَلَتْ
فِيهَا لِمَنْ أُسْرِيَ بِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -». ^(٢)



(١) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن
تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى سنة ٧٢٨هـ).
(٢) الفتاوى الكبرى (٢-٤٧٧).

إضاءة

أطليّ ليلة القدر^(١)
أطليّ غرّة الدهر .. أطليّ ليلة القدر
أطليّ درّة الأيام مثل الكوكب الدرّي
أطليّ في سماء العمر إشراقاً مع البدر
سلامٌ أنتِ في الليل وحتى مطلع الفجر
سلامٌ يغمرُ الدنيا يُغشي الكونَ بالطهر
وينشرُ نفحة القرآن والإيمان والخير
لأنك منتهى أمري فإني اليوم لا أدري
أفي حلمٍ؟ أفي وعيٍ...أنا؟ يا حيرة الفكر!
فما قيسٌ وما ليلي وما ذاك الهوى العذري؟!
حفظتُ هوائك في سرّي، فباحثٌ مهجّة السرّ
وصنّتُ سنالك في صدري فشعّت خفقة الصدر
أداريه وأسكبه بقلب زجاجة العطر

(١) د. عبد المعطي الدالاتي.

وأصحبهُ مدى عمري وأحملهُ إلى قبري
لأنك أنت أمنيّتي فرشتُ الحبَّ في قصري
لأجلك صُغتُ قافيتي وصغتُ قصيدةَ العمرِ
أرتّلها وأنشدُها فأرحلُ في مدى الشعرِ
فمن شطرٍ إلى شطرٍ ومن سطرٍ إلى سطرٍ
ويصغي الكونُ في شغفٍ لقافيةٍ على ثغري
لقافيةٍ ملوّنةٍ بلونِ خمائلِ الزهرِ
فحرفٌ لونه يُغوي وحرفٌ حسنه يُغري
وليس الفضلُ لي أبداً فما عندي سوى فقري
وكلّ الفضل والنعمى لربِّ مالكِ أمري
ومن يدري بما قد رانَ من وزرٍ على ظهري؟!
فيا رباهُ فارحمني.. فوزري.. آه من وزري
لأنك أنت أمنيّتي.. لأنك ليلة القدرِ



الليلة المباركة فليكن لك من بركة هذه الليلة أوفر الحظ والنصيب

قال -تعالى-: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ) (١) .
«وَكَمْ (لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ) مِنْ بَرَكَاتٍ لِلْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ،
وَلَعَلَّ تِلْكَ الْبَرَكَاتُ تَسْرِي إِلَى شُؤْنِهِمُ الصَّالِحَةِ
مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهُمْ.»

ابن عاشور^(٢) .



(١) سورة الدخان آية(٣).

(٢) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى سنة ١٣٩٣هـ) التحرير والتنوير (٢٥ - ٢٧٨).

الليلة المباركة المحروم من حرم بركة هذه الليلة

من نعم الله علينا ومنه أن خصَّ ليلة القدر ببركة خاصة، فمن أدَّى حقها نال من هذه البركة التي لا يعلم أحد قدر ما فيها من الخير والرحمة والمغفرة إلا الله، فهي ليلةٌ مباركةٌ بارك الله فيها، ولا يعدم القائم فيها الطالب لها المجد في تحصيلها أن يفيض عليه مولاه حين يراه راکعاً ساجداً مسبّحاً مستغفراً تائباً من بركة هذه الليلة، فيبارك في حياته، ويحفظ عليه قلبه من الزلات، ويغفر ذنبه، ويعلي شأنه، ويبارك في وقته وفي بدنه وفي رزقه، فلا ينبغي لعاقِلٍ عَلمَ ببركة هذه الليلة ألا يتعرض لنفحات ربه، فوالله من يُعطى شيئاً من بركة هذه الليلة فهو الفائز حقاً، وقد يسعد إلى الأبد، فقد تتغير حاله إلى أحسن حال، وتصبح هذه الليلة نقطة تحول في حياته، وفضل الله واسع لا يُحَدُّ بِحَدِّ ولا يُقَيَّدُ بِقَيِّدٍ، وهنيئاً لمن جمع بين بركة الزمان وبركة المكان، فمن وفقه ربه لزيارة البيت الحرام أو مسجد نبيه -صلى الله عليه وسلم- في ليالي العشر، فقد جمع بين بركة الزمان والمكان ومع كثرة الجموع من المسلمين يزداد الفضل، فيا لله ما أسعده وأشرف مكانه! فهنيئاً له، وليبشر بخيري الدنيا والآخرة!.

قال -تعالى-: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ).

والليلة المباركة هي ليلة القدر، وقيل: ليلة النصف من شعبان، وهو قول ضعيف.

قال القرطبي: «ووصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات والثواب»^(١).

قال الزمخشري^(٢): «والمباركة: الكثيرة الخير؛ لما يتيح الله فيها من الأمور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم، ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة»^(٣).

قال ابن العربي: «قوله: (مباركة) البركة: هي النماء والزيادة، وسماها مباركةً لما يعطي الله فيها من المنازل، ويغفر من الخطايا، ويقسم من الحظوظ، ويبث من الرحمة، وينيل من الخير، وهي حقيقة ذلك وتفسيره»^(٤).

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الحزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى سنة ٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن (١٦-١٢٦).

(٢) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى سنة ٥٣٨هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤-٢٧٠).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لزمخشري (٤-٧٨٠) ولا انصح بقراءة تفسير الزمخشري إلا لمن لديه بصيره بمذهب السلف فهو معتزلي المذهب مع إمامته في النحو واللغة والأدب فيستفاد منه ويؤخذ من تفسيره ما يوفق مذهب السلف.

(٤) القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى سنة ٥٤٣هـ) أحكام القرآن (٤-١١٧).

قال ابن عاشور: «وتنكير (لَيْلَةٍ) للتعظيم، ووصفها بـ (مُبْرَكَةٍ) تنويه بها وتشويق لمعرفة. فهذه الليلة هي الليلة التي ابتدأ فيها نزول القرآن على محمد -صلى الله عليه وسلم- في الغار من جَبَلِ حِرَاءٍ في رمضان، قال -تعالى-: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) (البقرة: ١٨٥).

والليلة التي ابتدأ نزول القرآن فيها هي ليلة القدر، قال -تعالى-: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (القدر: ١). والأصح أنها في العشر الأواخر من رمضان، وأنها في ليلة الوتر. وثبت أن الله جعل لتظيرتها من كل سنة فضلاً عظيماً؛ لكثرة ثواب العبادة فيها في كل رمضان؛ كرامة لذكرى نزول القرآن، وابتداء رسالة أفضل الرسل -صلى الله عليه وسلم- إلى الناس كافة. قال -تعالى-: (تَنْزِيلُ الْمَلَكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ) [القدر: ٤، ٥].

وذلك من معاني بركتها وكم لها من بركات للمسلمين في دينهم، ولعل تلك البركة تسري إلى شؤونهم الصالحة من أمور دنياهم.

فبركة الليلة التي أنزل فيها القرآن بركة قدّرها الله لها قبل نزول القرآن؛ ليكون القرآن بابتداء نزوله فيها مُلَابَسًا لوقتِ مباركٍ؛ فيزداد

بذلك فضلاً وشرفاً، وهذا من المناسبات الإلهية الدقيقة التي أنبأنا الله ببعضها. والظاهر أن الله أمدها بتلك البركة في كل عام كما أوماً إلى ذلك قوله: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) إذ قاله بعد أن مضى على ابتداء نزول القرآن بضْعَ عشرة سنة. «^(١) .



(١) التحرير والتنوير (٢٥-٢٧٧ و٢٧٨).

إضاءة

لما كانت هذه الليلة ليلة مباركة، والله أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، يجود ويكرم ويعطي ويتفضل على من يشاء من خلقه في هذه الليلة من البركات والخيرات العظيمة كان من الحرمان أن تمضي هذه الليلة ولا ينال المرء شيئاً من بركتها، فالموفق من أعدق عليه ربه من واسع فضله في هذه الليلة؛ فالله كريم جواد يعطي بلا حدٍّ ولا قيدٍ، يكرم وإذا أكرم أدهش، وهو المعطي عطاءً غير ممنون، فيمتنُّ الكريم في هذه الليلة ويعطي ويجود ويكرم وينعم على الصادقين في طلب ليلة القدر ومن بذل وسعه في إدراكها، فهناك أقوام يسعدون بهذه البركة؛ قاموا لله فحفظوا أوقاتهم له، وأخلصوا نياتهم له، فنالوا منها الحظ الوافر، فكن مع القوم، وتعرض لنفحات الرب، لعلك تصيب منها نفحة فتسعد إلى الأبد، واطلب من الله المزيد، وشمّر عن ساعد الجد، وشُدّ مئزرك فدونك الفلاح والنجاح الذي لا يخيب من يصيبه، وهي والله ساعات معدودة إن أدركتها أصبحت بعدها وقد حظيت بالبركات والخيرات من رب البريات، وفزت بخيري الدنيا والآخرة، فقم لله مخلصاً ومُدَّ يدك سائلاً الكريم الجواد بقلبٍ ذليلٍ متضرعٍ له؛ لعلَّه يمن عليك بالقبول.

نظرت إليك بقلبٍ ذليلٍ لأرجو به يا إلهي القبولاً
لك الحمد والمجد والكبرياء وأنت الإله الذي لن يزولا
وأنت الإله الذي لم يزل حميداً كريماً عظيماً جليلاً
تمت الأنام وتحيي العظام وتنشئ الخلائق جيلاً فجيلاً
عظيم الجلال كريم الفعال جزيل النوال تنيل السؤولا
حبيب القلوب غفور الذنوب تواري العيوب ثقيل الجهولا
وتعطي الجزيل وتولي الجميل وتأخذ من ذا وذاك القليلاً
خزائن جودك لا تنقضي تعم الجواد بها والبخيلاً



ليلة الشرف والفضل اكتسب القدر والشرف والفضل العظيم في ليلة القدر

«سُمِّيَتْ (ليلة القدر) بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُكْسَبُ مَنْ أَحْيَاهَا قَدْرًا عَظِيمًا لَمْ
يَكُنْ لَهُ مِنْ قَبْلُ، وَتَرُدُّهُ عَظِيمًا عِنْدَ اللَّهِ - تَعَالَى -»
أبوبكر الْوَرَّاقُ (١).



(١) تفسير ابن حبان البحر المحيط (١٠-٥١٤).

اصعد إلى قمة الشرف والفضل ياحياء ليلة القدر

ليلة القدر هي ليلة الشرف والفضل، فالقدر هو المكانة والمنزلة العظيمة، قال -تعالى-: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) ^(١)، قال الزهري -رحمه الله- في معنى ليلة القدر: «ليلة العظمة والشرف، من قول الناس: لفلان عند الأمير قدر، أي: جاه ومنزلة» ^(٢).

قال القرطبي: «وقيل: إنما سُمِّيت بذلك لعِظَمِها وقَدْرِها وشرفها، من قولهم: لفلان قَدْرٌ، أي شرفٌ ومنزلة. قاله الزُّهْرِيُّ وغيره» ^(٣).
قال ابن عاشور: «والقَدْرُ الذي عُرِفَت الليلة بالإضافة إليه هو بمعنى الشرف والفضل» ^(٤).

والمعنى: أن ليلة القدر ذات قدرٍ عظيم، وهذا القدر العظيم حاصلٌ مما يقع فيها من الفضائل ذات القدر العالي من نزول القرآن فيها، أو لما يقع فيها من نزول الملائكة، أو لوصفها بأنها خيرٌ من ألف شهرٍ، أو

(١) سورة الأنعام: ٩١.

(٢) انظر قوله في تفسير الثعالبي وغيره الثعالبي (١٠-٢٤٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٠-١٣٠).

(٤) التحرير والتنوير (٣٠-٤٥٧).

لنزول البركة والمغفرة والرحمة فيها؛ فهي ليلة عظيمة ذات قدرٍ وشرفٍ. قال الزرقاني^(١): «سميت بذلك لعظم قدرها أي ذات القدر العظيم لنزول القرآن فيها ولوصفها بأنها (خير من ألف شهر) أو لتنزل الملائكة فيها أو لنزول البركة والمغفرة والرحمة فيها، أو لما يحصل لمن أحياها بالعبادة من القدر الجسيم»^(٢).

وهذا القدر والشرف من وجهين: إما أن يرجع إلى العامل فيها بالطاعة أنه صار ذا قدرٍ في هذه الليلة بقيامه بالطاعة، أو لنفس الطاعة، فهي في هذه الليلة ذات قدرٍ وشرفٍ زائدٍ.

وهذا المعنى: (أنها ذات شرفٍ وفضلٍ) هو أحد الوجوه الذي سُمِّيت لأجله ليلة القدر بهذا الاسم.



(١) محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري.

(٢) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٢-٣١٧).

إِضَاءة

عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: « أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغْلَى فِيهِ مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ، اللَّهُ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ ^(١) .

فليلة القدر خيرها عظيمٌ لا يعلم حقيقة قدره إلا الله، والمحروم من حُرْمِ خَيْرِهَا، فحريٌّ بنا أن نُعْمَلَ الفكر ونُشْغَلَ الحواس ونُجْهَدَ البدن في طلبها، فيا طالب الخيرات والفضائل والمراتب العالية شمِّر عن ساعد الجدِّ في طلبها، فهي ليالٍ معدودة، وساعات معلومة، فقم فيها مجتهدًا مخلصًا، لعلَّ المنان يمنُّ عليك بالقبول، فيرفع قدرك، ويعلي شأنك، وتنال مراتب الشرف والفضل في الدنيا والآخرة.



(١) رواه النسائي (٢١٠٦) وأحمد (٧١٤٨ - ٩٤٩٧) مصنف أبو بكر بن أبي شيبة (٨٨٦٧) وانظر صحيح الترغيب (٩٩٩).

الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم

قال -تعالى-: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) [الدخان: ٤]

«ينسخ لملك الموت من يموت ليلة القدر إلى مثلها،

فتجد الرجل ينكح النساء، ويغرس الغرس، واسمه في الأموات»

عمر مولى غفرة^(١).



(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٢-٩).

الليلة التي تكتب فيها الأقدار والأرزاق والآجال

القدر: من التقدير أي تقدير الأمور وقضائها، كما في قوله -تعالى-:
(فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) فيقدر في هذه الليلة أحكام تلك السنة،
فتكتب فيها الأقدار والأرزاق والآجال التي تكون في السنة ومن يعز
فيها ومن يذل، وإن الرجل لينكح ويتصرف في أموره ويولد له، وقد
خرج اسمه في الموتى في تلك السنة.

قال محمد الأمين الشنقيطي^(١): «قوله تعالى: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ
حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا) .

معنى قوله: (يفرق) أي: يفصل ويبين، ويكتب في الليلة المباركة،
التي هي ليلة القدر، (كل أمر حكيم)، أي: ذي حكمة بالغة؛ لأن كل ما
يفعله الله، مشتمل على أنواع الحكم الباهرة.

وقال بعضهم: حكيم، أي محكم، ولا تغيير فيه، ولا تبديل.
وكلا الأمرين حق لأن ما سبق في علم الله، لا يتغير ولا يتبدل،

(١) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ).

ولأن جميع أفعاله في غاية الحكمة.

وهي في الاصطلاح: وضع الأمور في مواضعها وإيقاعها في مواقعها.

وإيضاح معنى الآية أن الله -تبارك وتعالى- في كل ليلة قدر من السنة يبين للملائكة ويكتب لهم، بالتفصيل والإيضاح جميع ما يقع في تلك السنة، إلى ليلة القدر من السنة الجديدة.

فتبين في ذلك الآجال والأرزاق والفقير والغنى، والخصب والجذب والصحة والمرض، والحروب والزلازل، وجميع ما يقع في تلك السنة كائناً ما كان.^(١)

وهذا المعنى: (أنها من تقدير الأمور وقضائها) هو أحد الوجوه الذي سُميت لأجله ليلة القدر بهذا الاسم.

قال الإمام النووي^(٢): «قال العلماء: وسميت ليلة القدر لما يكتب فيها للملائكة من الأقدار والأرزاق والآجال التي تكون في تلك السنة،

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧- ١٧٢ و ١٧٣).

(٢) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى سنة ٦٧٦هـ).

كقوله -تعالى-: (فيها يفرق كل أمر حكيم) وقوله -تعالى-: (تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ).

ومعناه يظهر للملائكة ما سيكون فيها ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم، وكل ذلك مما سبق علم الله -تعالى- به وتقديره له^(١).



(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٨-٥٧).

لماذا سُميت ليلة القدر بهذا الاسم؟

سبق أن ذكرنا في ذلك وجهين، الأول: أنها من القدر، أي الشرف والمكانة العظيمة، من قولهم: فلان ذو قدر.

والوجه الثاني هو: أنها من التقدير، أي تقدير الأمور وقضائها، كما في قوله -تعالى-: **(فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)** فيقدر في هذه الليلة أحكام تلك السنة فتكتب فيها الأقدار والأرزاق والآجال.

ولا منافاة بين الوجه الأول والثاني؛ فليلة القدر تشمل المعنيين.

قال شيخنا ابن عثيمين^(١) -رحمه الله- بعد ما ذكر الوجهين والمعنيين: «والصحيح أنه شامل للمعنيين، فليلة القدر لا شك أنها ذات قدرٍ عظيمٍ، وشرفٍ كبيرٍ، وأنه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة من الإحياء والإماتة والأرزاق وغير ذلك»^(٢).

وهناك وجهٌ ثالثٌ: وهو أن القدر بمعنى: التضييق.

قال الحافظ ابن حجر^(٣): «وقيل: القدر هنا التضييق كقوله -

(١) شيخنا فقيه الوقت أبو عبد الله محمد بن صالح العثيمين (المتوفى سنة ١٤٢١هـ)، وإذا قلت: (شيخنا) في هذا الكتاب فلا أقصد إلا هو، رحمه ربي وجمعنا به في جنته.

(٢) تفسير جزء عم (ص ٢٧٠).

(٣) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.

تعالى:- (وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) ومعنى التضيق فيها: إخفاؤها عن العلم بتعيينها، أو لأن الأرض تضيق فيها عن الملائكة». (١).

وجميع ما ذكر من أقوال في سبب تسميتها يعود إلى هذه الثلاثة أوجه.

فائدة: التقدير والكتابة التي تكون في ليلة القدر، هي الكتابة السنوية، فهناك كتابة أولى قبل خلق السموات والأرض في اللوح المحفوظ، وهذه لا تتغير ولا تبدل، وهناك كتابة عمرية، ما يكتب على الجنين في بطنه امه من الرزق، وشقي أم سعيد، وهناك كتابة سنوية، وهي التي تكون في ليلة القدر (٢).



(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤ - ٢٥٥).

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦ - ٤٩٣).

إِضَاءة

ليلة القدر ، تقدر فيها الآجال والأرزاق، ويقضى فيها القضاء، فتأمل حالك، وأي قضاء كتب لك، فلا تعلم وأنت في هذه الليلة هل تدرك ليلة قدر بعدها أم لا؟ أم هو الأخيرة في حياتك؟ فلا تعلم هل كتب اسمك مع الأموات وسجلت في صحائف الموتى لهذا العام أم لا؟ فقف وقفة تأمل وكأنه آخر رمضان لك، وآخر ليلة قدر تدركها، وابدل وسعك، وجد واجتهد، وتزود ما استطعت من التقوى .

تزود من التقوى فإنك لا تدري
إذا جنَّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجرِ
فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكاً
وقد نُسِجَتْ أكفأه وهو لا يدري
وكم من عروس زينوها لزوجها
وقد قبضت أرواحهم ليلة القدرِ
وكم من صغارٍ يُرتجى طول عمرهم
وقد أُدخلت أجسادهم ظلمة القبرِ
وكم من صحيح مات من غير علةٍ
وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

ليلة نزول القرآن العظيم

قال -تعالى- : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(١).

«كان الإمام مالك إذا دخل رمضان

يفر من قراءة الحديث، ومجالسة أهل العلم،

ويقبل على تلاوة القرآن من المصحف»

ابن عبد الحكم^(٢).



(١) سورة القدر آية رقم ١.

(٢) لطائف المعارف ص (١٧١).

ليلة نزول القرآن العظيم

قال -تعالى- : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ).

من شرف هذه الليلة وبركتها: أن الله خصَّها بأن أنزل فيها أشرف كتبه (القرآن العظيم) فهو أعظم الكتب السماوية، وهو كلام الله -عز وجل-، تكلم به حقيقةً، وتلقاه جبريل من الله -عز وجل-، ونزل به على قلب نبيينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، ففي هذه الليلة أنزل الفرقان والهدى والنور والشفاء.

وقد تضمن القرآن من العلوم والحكم والمواعظ والقصص والترغيب والترهيب وذكر أخبار من سبق وأخبار ما يأتي من البعث والنشور والجنة والنار ما لم يشتمل عليه كتاب غيره، حتى قال بعض العلماء: «لو أن هذا الكتاب وجد مكتوباً في مصحفٍ في فلاة من الأرض ولم يعلم من وضعه هناك، لشهدت العقول السليمة أنه منزلٌ من عند الله، وأن البشر لا قدرة لهم على تأليف ذلك، فكيف إذا جاء على يدي أصدق الخلق وأبرهم وأتقاهم؟»^(١).

(١) ابن رجب لطائف المعارف ص (٨٤).

قوله - تعالى - : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ).

قوله: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) قيل: الضمير يعود إلى جبريل، أي: أنزل الله جبريل في ليلة القدر بما نزل به من الوحي^(١). وهو ضعيف، والصواب أن الضمير يعود إلى القرآن، فخمه بإضماره من غير ذكر؛ شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح، كما عظمه بأن أسند نزوله إليه، وعظم الوقت الذي أنزل فيه بقوله: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)^(٢).

ما معنى إنزاله في ليلة القدر مع أنه كان ينزل على نبينا - صلى الله عليه وسلم - منجماً حسب الوقائع والأحداث؟

والجواب على هذا من وجوه:

الأول: ما قاله ابن عباس وهو رأي الجمهور: «أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، والتعبير بالإنزال يؤيد قول ابن عباس؛ لأن لفظ (الإنزال) يُستعمل في الدفعى، أي نزل دفعة واحدة وجملة واحدة إلى السماء الدنيا.»^(٣).

(١) تفسير الماوردي (٦-٣١١).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٥-٣٢٧).

(٣) معجم الفروق اللغوية للعسكري (ص ٧٩).

الوجه الثاني:

قول الشعبي: أنه ابتداء نزوله في ليلة القدر.

ورجح هذا القول شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله - قال: «قوله: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) يقتضي إنزاله إلى منتهى إنزاله، وهو قلب النبي - صلى الله عليه وسلم -، ومعلوم أنه لم ينزل على قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - جميعاً في ليلة واحدة، بل نزل مفراً، فيكون المعنى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) أي: إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر، ثم صار ينزل مفراً حسب ما تقتضيه حكمة الله - تبارك وتعالى -». (١).

والوجه الثالث:

رأي مقاتل بن سليمان: «أنه نزل إلى سماء الدنيا في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة، يُنزل الله في كل ليلة قدر ما قدر إنزاله في تلك السنة، ثم ينزل به جبريل منجماً على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -». (٢).

(١) هذه الاجابه نصا من فتاوى الشيخ - رحمه الله - في برنامج (نور على الدرب) ولم يطبع بعد ولعل اذف البشرى لطلاب العلم بقرب طباعة فتاوى الشيخ كاملة في هذا البرنامج المبارك والتي تصل الى عشرة مجلدات اوتزيد وذلك في الأشهر القادمة. وانظر ترجيح الشيخ لهذه المسألة في تفسير جزء عم (١- ٢٧٩).

(٢) وذكر في تفسيره رأياً آخر هو: أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة، وأن الحفظة نجّته على جبريل في عشرين ليلة، وأن جبريل نجّمه على النبي - صلى الله عليه وسلم - في عشرين سنة. ولكن الأول هو الأشهر عنه انظر تفسير مقاتل بن سليمان (٣- ١١٧) و(٤- ٧٧١).

وقيل: أن التقدير أنزلنا هذا الذكر (فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) أي: في فضيلة ليلة القدر وبيان شرفها^(١).

قال الزمخشري: «عظم القرآن من ثلاثة أوجه: أحدها: أن أسند إنزاله إليه وجعله مختصاً به دون غيره، والثاني: أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادةً له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه؛ والثالث: الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه^(٢).



(١) مفاتيح الغيب (٣٢ - ٢٢٩).

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (٤ - ٧٨٠).

إضاءة

من بركة هذه الليلة نزول القرآن الكريم فيها، فليكن لك نصيب من هذه البركة، وخذ منها الحظ الأوفر، واحبس نفسك كل الليالي العشر على تلاوة كتاب الله بتدبر، فنزوله في هذه الليلة يعود بك إلى ذكرى أول نزوله وإلى حرص النبي -صلى الله عليه وسلم- على تلاوته ومذاكرته له مع جبريل في رمضان، فهو شهر القرآن، ويزداد الحرص والجد والاجتهاد في العشر الأواخر، فالزم كتاب الله واحرص على ختمه وتدبره؛ لعلك تصادف ليلة القدر وأنت مقبل على كتاب الله فتفلق فلاحًا لا تخيب بعده، وقد كانت أوقات السلف -رحمهم الله- في رمضان عامرة بكتاب الله خاصة في العشر الأواخر منه، فكان الأسود يقرأ القرآن في كل ليلتين في رمضان، وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة وفي بقية الشهر في ثلاث، وكان قتادة يختم في كل سبع دائمًا وفي رمضان في كل ثلاث وفي العشر الأواخر كل ليلة، وكان الإمام الشافعي، رَحِمَهُ اللهُ يَخْتِمُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ خَتْمَتَيْنِ، وَفِي غَيْرِهِ خَتْمَةً، وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام. و كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على تلاوة القرآن من المصحف، و البُخاري

-صاحب الصحيح-: يَحْتَمُّ فِي اللَّيْلَةِ وَيَوْمِهَا مِنْ رَمَضَانَ خَتْمَةً.

و كان سفيان الثوري: إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن .

وقد يشكل على البعض صنيع السلف هذا من ختم القرآن في يوم أو يومين، لما ورد من حديث عبد الله بن عمرو قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَهُ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ»^(١).

ويجب على هذا الحافظ ابن رجب بقوله: «وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان، خصوصاً الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن؛ اغتناماً للزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره»^(٢).



(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦٧٧٥) وفي سنن أبي داود برقم (١٣٩٤) وفي سنن الترمذي برقم (٢٩٤٩) وفي سنن النسائي الكبرى برقم (٨٠٦٧) وفي سنن ابن ماجه برقم (١٣٤٧).
(٢) ابن رجب لطائف المعارف ص (١٧١).

المشوق إلى فضل ليلة القدر

قال -تعالى- : (وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ)^(١) .

«قوله -عزّ وجلّ- : «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ»

هذا على سبيل التعظيم والتشوّق إلى خيرها «

ابن الجوزي^(٢) .



(١) [القدر: ٢].

(٢) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧هـ).
زاد المسير في علم التفسير (٤-٤٧٢).

التشويق إلى ما في ليلة القدر من الخير العظيم

قال -تعالى-: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ).

في هذه الآية يعظم ربنا -جلّ شأنه- هذه ليلة القدر، ويفخم أمرها، مع التشويق لخيرها، ويبين أن لا أحد يدري عن فضلها حقيقة، ولا يبلغ أحد من البشر منتهى قدرها، وما ذكره الله أنها أفضل من ألف شهر، هذا شيء من شرفها وفضلها، وليس هو حقيقة فضلها، وهذا التشويق يحذو بصاحب الهمة العالية إلى التطلع إلى هذا الفضل العظيم والسعي إليه.

قال الطبري^(١): «وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ» يَقُولُ: وَمَا أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدُ أَيَّ شَيْءٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»^(٢).

قال الماوردي: «(وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) تنبيه لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- على فضلها، وحثّ على العمل فيها»^(٣).

قال القاسمي: «(وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) أي: وما الذي يعلمك مبلغ شأنها ونباهة أمرها؟! لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ فكرر ذكرها

(١) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (٣٤-٥٣٣).

(٣) تفسير الماوردي (٦-٣١٢).

ثلاث مرات. ثم أتى بالاستفهام الدالّ على أن شرفها ليس مما تسهل إحاطة العلم به»^(١).

قال ابن عاشور: «(وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) تَنْوِيهٌ بِطَرِيقِ الْإِبْهَامِ الْمُرَادِ بِهِ أَنَّ إِدْرَاكَ كُنْهَهَا لَيْسَ بِالسَّهْلِ لِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنَ الْفَضَائِلِ الْجُمَّةِ. وَكَلِمَةٌ (مَا أَدْرَاكَ مَا كَذَا) كَلِمَةٌ تُقَالُ فِي تَفْخِيمِ الشَّيْءِ وَتَعْظِيمِهِ، وَالْمَعْنَى: أَيُّ شَيْءٍ يُعْرِفُكَ مَا هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، أَيُّ يَعْسُرُ عَلَى شَيْءٍ أَنْ يُعْرِفَكَ مِقْدَارَهَا»^(٢).

قال أبو السعود^(٣): «فِيهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ عَلْوَ قَدْرِهَا خَارِجٌ عَنْ دَائِرَةِ دَرَايَةِ الْخَلْقِ لَا يَدْرِیْهَا وَلَا يَدْرِیْهَا إِلَّا عَلَامُ الْغُیُوبِ»^(٤).

قال السعدي: «ثم فخم شأنها، وعظم مقدارها فقال: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) أَي: فَإِنَّ شَأْنَهَا جَلِيلٌ، وَخَطَرُهَا عَظِيمٌ»^(٥).

قال شيخنا: «هذه الجملة بهذه الصيغة يستفاد منها التعظيم والتفخيم... (وما أدراك ما ليلة القدر) أَي: ما أعلمك ليلة القدر

(١) محاسن التأويل (٩-٥١٦).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠-٤٥٨).

(٣) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى سنة ٩٨٢هـ).

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٩-١٨٢).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٩٣١).

وشأنها وشرفها وعظمتها»^(١) .

فائدة:

قال سفيان بن عيينة في صحيح البخاري: «ما كان في القرآن: وما أدراك فقد أعلمه، وما قال: وما يُدريك فإنه لم يُعلمه» .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: «ومقصود ابن عيينة أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يعرف تعيين ليلة القدر»^(٢) .



(١) تفسير جزء عم (ص ٢٧٠).

(٢) فتح الباري (٤-٢٥٥). وقال الحافظ: «وَقَدْ تُعَقَّبَ هَذَا الْخُصْرَ بِقَوْلِهِ -تَعَالَى-: (لَعَلَّ يَزْكَى) فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي بِنِ أُمَّ مَكْتُومٍ وَقَدْ عَلِمَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِحَالِهِ وَأَنَّهُ مِمَّنْ تَزَكَّى وَنَفَعَتْهُ الذُّكْرَى» .

إضاءة

فليلة هذا شأنها يعظمها ربنا، ويفخم أمرها، ويشوقنا إلى فضلها،
وكانه يبين لنا أننا مهملنا شيئاً من فضلها، ففضلها أعظم من ذلك،
فتشتاق النفوس إليها، وتشم عن ساعد الجد في طلبها وتحصيلها،
فيا قوم ألا خاطب في هذا الشهر إلى الرحمن؟ ألا راغب فيما أعده
الله للطائعين في الجنان؟

مَنْ يُرِدْ مُلْكَ الْجِنَانِ فَلْيَدْعُ عَنْهُ التَّوَانِي
وَلْيُقِمْ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ لِيَلِ إِلَى نُورِ الْقُرْآنِ
وَلْيَصِلْ صَوْمًا بِصَوْمٍ إِنَّ هَذَا الْعَيْشَ فَنَانٍ
إِنَّمَا الْعَيْشُ جَوَارُ الْ لَهُ فِي دَارِ الْأَمَانِ



فضل ليلة القدر المدهش للعقول

قال -تعالى-: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ).

١٠٠٠ شهر = ٨٣ سنة و ٤ أشهر.

«الرَّكْعَةُ (في ليلة القدر) خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ رَكْعَةٍ وَكَذَلِكَ سَائِرُ أَنْوَاعِ الْبِرِّ».

القراقي (١).



(١) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقراقي (المتوفى سنة ٦٨٤هـ) الذخيرة (٥ - ٥٤٨).

الفضل المدهش للعقول والمحضر للنفوس لإدراك ليلة القدر

قال -تعالى-: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ).

١٠٠٠ شهر = ٨٣ سنة و ٤ أشهر

هذه الليلة العظيمة خير من ألف شهر، خير من ٨٣ سنة و ٤ أشهر. ساعات معدودة خير من كل هذه السنوات، ولا نعلم فضلها حقيقة، إنما نعلم أنها أفضل من ألف شهر، وقد لا يقصد بالألف عدد معين، بل هو جاري عادة العرب إذ تذكر الألف في غاية الأشياء للتكثير، فيقصد به: الدهر كله، كما قال -تعالى-: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)^(١)، فيكون فضل ليلة القدر خير من الدهر كله، وهذا فضل عظيم ومنة من الله كبيرة، ففضل الكريم المنان لا يُحَدُّ بِحَدٍّ، ولا يُقَيَّدُ بِقَيْدٍ، ففضله واسع وعطاؤه غير ممنون.

وهذا تشويق عظيم تشرَّب له النفوس الأبية، وتعمل على تحصيله، وهي والله صفقة رابحة، وفرصة العمر، التي لا تعوض ولا تقدر بثمن،

(١) البقرة: ٩٦.

فليلة واحدة خير من ألف شهر، يعني: أفضل من عباده ٨٣ سنة وأربعة اشهر كلها عبادة لا فتور فيها، فلو قام قائمٌ ليلي العشر لمدة ١٠ سنوات، فسيحصل هذا القائم -بإذن ربه وفضله- على ثواب وأجر أفضل من عشرة آلاف شهر، وهي تزيد على ٨٣٠ سنة، وكأنه عمّر أكثر من ٨٣٠ سنة في عبادة ربه. أي فضل هذا؟! فيا خيبة المحروم!.

ومن قام هذه الليلة ٢٠ سنة، يكسب من الثواب والأجر خيرًا من ٢٠ ألف شهر في عبادة الله، أي ما يزيد على ١٦٦٠ سنة! هل فكرت بهذا الفضل؟! وكان عمرك امتد حتى بلغت أكثر من ١٦٦٠ سنة كلها في عبادة ربك، نسأل الله من فضله.

قال بدر الدين العيني^(١): « ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر، وقد دخل في هذه اللَّيْلَةِ أَرْبَعَةَ آلَافِ جُمُعَةٍ بِالْحِسَابِ الْجَمَلِيِّ، فَتَأْمَلْ هَذَا الْفَضْلَ الْحَقْفِيَّ »^(٢).

لو فكّر العبد أي خسارة هو فيها إن فاتته هذا الفضل لما توانى في الجدل لحظة واحدة في طلب ليلة القدر في كل ليلة من ليالي العشر.

(١) أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى سنة ٨٥٥هـ).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤-٥٠).

ما المقصود بالخيرية في قوله -تعالى-: (خير من ألف شهر)؟

قال الطبري: «وأشبهه الأقوال في ذلك بظاهر التنزيل قول من قال: عمل في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر. وأما الأقوال الأخر، فدعاوى معانٍ باطلة، لا دلالة عليها من خبر ولا عقل، ولا هي موجودة في التنزيل»^(١).

قال القرافي: «وَمَعْنَى قَوْلِهِ -تَعَالَى-: (خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) أَنَّ الْعَمَلَ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ فَتَكُونُ الرَّكْعَةُ فِيهَا خَيْرًا مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ رَكْعَةٍ وَكَذَلِكَ سَائِرُ أَنْوَاعِ الْبِرِّ»^(٢).

وقوله -رحمه الله-: «الركعة خير من ثلاثين ألف ركعة» ذلك لأن الشهر ثلاثون يومًا، وليلة القدر خيرٌ من ألف شهر، ولو ضربنا ٣٠ في ١٠٠٠ لكان الناتج ٣٠ ألفًا، فلو صلى ركعة في ليلة القدر، وحسبنا مثلها في ألف شهر، لكانت ثلاثين ألف ركعة، ثم قال -رحمه الله-: «كذلك سائر أنواع البر»، فعلى قوله هذا، فمن تصدق بريال في ليلة القدر خير من ثلاثين ألف ريال، وهكذا جميع أعمال البر.

(١) تفسير الطبري (٢٤-٥٣٤).

(٢) الذخيرة (٥-٥٤٨).

قال الألويسي^(١) : « وخيريتها من ألف شهر باعتبار العبادة عند الأكثرين على معنى أن العبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر، ولا يعلم مقدار خيريتها منها إلا هو - سبحانه وتعالى-، وهذا تفضل منه -تعالى-، وله -عز وجل- أن يخص ما شاء بما شاء، ورب عمل قليل خير من عمل كثير»^(٢).

قال القرطبي^(٣) : «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ بَيِّنَ فَضْلَهَا وَعَظَمَهَا. وَفَضِيلَةُ الزَّمَانِ إِنَّمَا تَكُونُ بِكَثْرَةِ مَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ الْفَضَائِلِ. وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ يُقَسَّمُ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ الَّذِي لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ فِي أَلْفِ شَهْرٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: أَيُّ الْعَمَلِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ لَا تَكُونُ فِيهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ»^(٤).

قال شيخنا - رحمه الله - : «قال -تعالى- : «ليلة القدر خير من ألف شهر» أي: من ألف شهر ليس فيه ليلة القدر، والمراد بالخيرية هنا: ثواب العمل فيها، وما ينزل الله -تعالى- فيه من الخير والبركة على هذه الأمة».

(١) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٥-٤١٥).

(٣) تفسير القرطبي (٢٠-١٣١).

(٤) تفسير جزء عم (ص ٢٧٠ و ٢٧١).

هل يشمل فضل ليلة القدر يومها؟

قال بعض العلماء: «الفضل يشمل يومها»، وعلى هذا قالوا: «يستحب أن يجتهد في يومها كاجتهاده في ليلتها».

قال الشعبي: «يَوْمُهَا كَلَيْلَتِهَا، وَكَلَيْلَتُهَا كَيَوْمِهَا»^(١).

وبه قال الشافعي، قال النووي في الأذكار: «قال الشافعي - رحمه الله - : أستحب أن يكون اجتهاده في يومها كاجتهاده في ليلتها، هذا نصه»^(٢).

قال النيسابوري^(٣): «هذه الليلة هل تضاف إلى يومها الذي بعدها؟ قال الشعبي: نعم يومها كليلتها؛ لقوله: (ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) [مريم: ١٠] وفي موضع، (ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) [آل عمران: ٤١] ولهذا لو نذر أن يعتكف ليلتين ألزمناه يومها»^(٤).

ولا دليل يسعف هذا القول ولا أثر، فليلة القدر فضلها خاص بالليل ولا يلحق به يومها وما ذكره النيسابوري في النذر لا يقاس على ليلة القدر، فهي ليلة لا تقارن في أحكامها وفضلها بباقي الليالي، وقد

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٨٦٩٣).

(٢) الأذكار (ص ١٩١).

(٣) نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى سنة ٨٥٠هـ).

(٤) غرائب القرآن ورجائب الفرقان (٦-٥٣٦).

جاء نصًّا في كتاب الله أن فضلها في الليل خاصة، ولا يشمل يومها، فقوله -تعالى-: (سلام هي حتى مطلع الفجر) يحدد نهاية ليلة القدر، فلا حجة لهم فيما ذهبوا إليه، فيبقى الفضل خاصًّا بالليل فقط.

هل فضل ليلة القدر خاص بأمة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

القول الأول: أن فضلها خاص بهذه الأمة. وهذا قول جماهير العلماء.

واستدلوا على ذلك بما ذكره مالك في الموطأ أنه سَمِعَ مَنْ يَثِقُ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُرِيَ أَعْمَارَ النَّاسِ قَبْلَهُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَكَانَهُ تَقَاصِرَ أَعْمَارِ أُمَّتِهِ أَنْ لَا يَبْلُغُوا مِنْ الْعَمَلِ مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ غَيْرُهُمْ فِي طَوْلِ الْعُمُرِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»

قال الحافظ ابن عبد البر^(١): «وَفِيهِ مِنْ وُجُوهِ الْعِلْمِ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لَمْ

(١) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى سنة ٤٦٣هـ).

يُعْطَاهَا إِلَّا مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -»^(١) .

قال النووي: « لَيْلَةُ الْقَدْرِ مُحْتَصَّةٌ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَمْ تَكُنْ لِمَنْ قَبْلَهَا، هُوَ الصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ الَّذِي قَطَعَ بِهِ أَصْحَابُنَا كُلُّهُمْ وَجَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ، وَقَالَ صَاحِبُ الْعُدَّةِ مِنْ أَصْحَابِنَا: اخْتَلَفَ النَّاسُ هَلْ كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ لِلْأُمَّمِ السَّالِفَةِ؟ قَالَ: وَالْأَصْحَحُّ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ إِلَّا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ»^(٢) .

والقول الثاني: إنها كانت قبلنا في الأمم السابقة، كما هي في أمتنا، قال بذلك ابن كثير^(٣)، واستدل بحديث أبي ذر، لما سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - قال أبو ذر: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، أَيْ رَمَضَانَ هِيَ أَوْ فِي غَيْرِهِ؟ قَالَ: «بَلْ هِيَ فِي رَمَضَانَ». قُلْتُ: تَكُونُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ مَا كَانُوا، فَإِذَا قُبِضُوا رُفِعَتْ؟ أَمْ هِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلْ هِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». قُلْتُ: فِي أَيِّ رَمَضَانَ هِيَ؟ قَالَ: «التَّمَسُّوْهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ، وَالْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ»^(٤) .

ومال إلى هذا القول الحافظ ابن حجر، وقال: «إن القول بأنها خاصة

(١) الاستذكار (٣-٤١٧).

(٢) المجموع شرح المذهب (٦-٤٤٨).

(٣) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى سنة ٧٧٤هـ). تفسير

القرآن العظيم (٨-٤٤٦).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند رقم (٢١٤٩٩) والنسائي في السنن الكبرى (٣٤١٣).

بهذه الأمة معترض بحديث أبي ذر»، وقال عن أثر مالك الذي رواه بلاغاً «إنه يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، فَلَا يَدْفَعُ التَّصْرِيحَ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ»^(١)، وتعقب السيوطي^(٢) الحافظ ابن حجر بأن حديث أبي ذر أيضاً محتمل التأويل، فقال: «وَأَقُولُ هَذَا الْحَدِيثَ أَيْضًا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ، وَهُوَ أَنْ مُرَادَهُ السُّؤَالُ: هَلْ تَخْتَصُّ بِزَمَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ تَرْفَعُ بَعْدَ مَوْتِهِ؟ لِقَرِينَةِ مُقَابَلَتِهِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «أَمْ هِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟» فَلَا يَكُونُ فِيهِ مُعَارَضَةٌ لِأَثَرِ الْمُوْطَأِّ، وَقَدْ وَرَدَ مَا يَعْضُدُهُ، فَفِي فَوَائِدِ أَبِي طَالِبِ الْمُزَكِّيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ لِأُمَّتِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَلَمْ يُعْطَهَا مِنْ كَانَ قَبْلَهُمْ»^(٣).

والأقرب أنها خاصة بهذه الأمة، فلا يُعلم هذا الفضل العظيم لأي أمة من الأمم السابقة، وهذا فضل من الله ومنته، فهي أفضل الأمم ونبينا - صلى الله عليه وسلم - أفضل الأنبياء، فله الحمد والمنة.

ما سر التخصيص بألف شهر؟

قيل: «أَرَادَ بِقَوْلِهِ: «أَلْفِ شَهْرٍ» جَمِيعَ الدَّهْرِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَذَكَّرُ الْأَلْفَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ عَلَى طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ. كَمَا فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ

(١) فتح الباري (٤- ٢٦٣).

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ).

(٣) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (١- ٢٣٧).

أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (البقرة: ٩٦).

قال القاسمي: ولك أن تقف في التفضيل عند النص، وتفوض الأمر في تحديد ما فضلت عليه الليلة بألف شهر إلى الله -تعالى-؛ فهو الذي يعلم سبب ذلك ولم يبينه لنا، ولك أن تجري الكلام على عادتهم في التخاطب. وذلك في الكتاب كثير. ومنه الاستفهام الواقع في هذه السور (وما أدراك ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ) فإنه جار على عادتهم في الخطاب. وإلا فالعليم الخبير لا يقع منه أن يستفهم عن شيء! فيكون التحديد بالألف لا مفهوم له، بل الغرض منه التكثر. وإن أقل عدد تفضله هو ألف شهر. ثم إن درجات فضلها على هذا العدد غير محصورة^(١).

وقيل: «الظَّاهِرُ أَنَّ (أَلْفَ شَهْرٍ) يُرَادُ بِهِ حَقِيقَةُ الْعَدَدِ، وعلى هذا قيل: السبب في تخصيصه بألف شهر ما ذكره مَالِكٌ في الموطأ، أَنَّهُ سَمِعَ مَنْ يَثِقُ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَرَى أَعْمَارَ النَّاسِ قَبْلَهُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَكَانَهُ تَقَاصِرَ أَعْمَارِ أُمَّتِهِ أَنْ لَا يَبْلُغُوا مِنَ الْعَمَلِ مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ غَيْرُهُمْ فِي طَوْلِ الْعُمُرِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ

(١) محاسن التأويل (٩-٥١٧).

لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»^(١).

قال الحافظ ابن عبد البر في التمهيد^(٢): «لَا أَعْلَمُ هَذَا الْحَدِيثَ يُرَوَّى مُسْنَدًا مِنْ وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ وَلَا أَعْرِفُهُ فِي غَيْرِ الْمُوطَأِ مُرْسَلًا وَلَا مُسْنَدًا وَهَذَا أَحَدُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي انْفَرَدَ بِهَا مَالِكٌ وَلَكِنَّهَا رَغَائِبٌ وَفَضَائِلٌ وَلَيْسَتْ أَحْكَامًا وَلَا بَنَى عَلَيْهَا فِي كِتَابِهِ وَلَا فِي مُوطَأِهِ حُكْمًا»^(٣).

وقيل في سر التخصيص: «أن العابد كان فيما مضى لا يسمى عابداً حتى يعبد الله ألف شهر، وذلك ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، فجعل الله - سبحانه - لأمة محمد عبادة ليلة خيراً من عبادة ألف شهر كانوا يعبدونها»^(٤).

وقيل السبب في التخصيص: «ما رواه عطاء عن ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكر له رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) الموطأ رقم (٨٨٩).

(٢) التمهيد (٢٤ - ٣٧٣).

(٣) فائدة: قال الحافظ ابن عبد البر في الاستذكار: «لَا أَعْلَمُ هَذَا الْحَدِيثَ يُرَوَّى مُسْنَدًا وَلَا مُرْسَلًا مِنْ وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ إِلَّا مَا فِي الْمُوطَأِ وَهُوَ أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي لَا تَوْجَدُ فِي غَيْرِ الْمُوطَأِ أَحَدَهَا إِنِّي لَأَنْسَى - أَوْ أَنْسَى وَالثَّانِي إِذَا نَشَأَتْ بَحْرِيَّةٌ وَالثَّلَاثُ حَسَنُ خُلُقِكَ لِلنَّاسِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلِ وَالرَّابِعُ هَذَا وَلَيْسَ مِنْهَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ وَلَا مَا يَدْفَعُهُ أَضَلُّ».

(٤) تفسير القرطبي (٢٠ - ١٣١).

لذلك، وتمنى أن يكون ذلك في أمته، فأعطاه الله ليلة القدر، وقال: هي خير من ألف شهر التي حمل فيها الاسرائيلي السلاح في سبيل الله»^(١).
وعن مجاهد نفس قصة الإسرائيلي، لكن جمع بين الجهاد وقيام الليل، قال مجاهد: «كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يُمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل»^(٢).

وقيل في سر التخصيص: «إِنْ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَكَرِيَوْمًا أَرْبَعَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبْدُوا اللَّهَ تَمَانِينَ عَامًا، لَمْ يَعْصُوهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَذَكَرَ أَيُّوبَ وَزَكَرِيَّا وَحَزْقِيلَ بْنَ الْعَجُوزِ وَيُوشَعَ بْنَ نُونٍ قَالَ: فَعَجِبَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ ذَلِكَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ عَجِبْتَ أُمَّتَكَ مِنْ عِبَادَةِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ تَمَانِينَ سَنَةً لَمْ يَعْصُوهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ. فَقَرَأَ عَلَيْهِ: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) هَذَا أَفْضَلُ مِمَّا عَجِبْتَ أَنْتَ وَأُمَّتَكَ. فَسَّرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي (٤-٥٣٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٤-٥٣٣).

وَسَلَّمَ - وَالنَّاسُ مَعَهُ» (١) .

وقيل في سر التخصيص ما ذكره أبو بكر الورّاق: «كان ملك سليمان خمسمائة شهر، وملك ذي القرنين خمسمائة شهر، فيحتمل أن يكون معنى الآية: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ لِمَنْ أَدْرَكَهَا مِمَّا مَلَكَهُ سُلَيْمَانُ وَذُو الْقَرْنَيْنِ - عَلَيْهَا السَّلَامُ -» .

وقيل: «ألف شهر، مدة ملك بني أمية» لما أخرجه الترمذي (٢) .

عن يوسف بن مازن الراسبي قال: «قام رجل إلى الحسن بن علي فقال: سوّدت وجوه المؤمنين، عمدت إلى هذا الرجل فبايعته - يعني معاوية -، فقال: «لا تؤنّبني - رحمك الله - فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أرى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً، فسأه ذلك، فنزلت: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) ونزلت: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) تملكه بنو أمية» .

قال القاسم: «اللهم فحسبنا ملك بني أمية فإذا هو ألف شهر لا يزيد ولا ينقص» .

وهذا لا يصح، قال ابن كثير: «الْحَدِيثُ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ مُنْكَرٌ جَدًّا»،

(١) تفسير ابن كثير (٨-٤٤٣) .

(٢) سنن الترمذي (٣٣٥٠) .

قَالَ شَيْخُنَا الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْحُجَّةُ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمِزِّيُّ: «هُوَ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ»^(١).
والظاهر أن هذا الفضل العظيم، أنها خير من ألف شهر، هو منة
وهبة من الله تفضل بها على هذه الأمة، ولا يلزم أن يكون لها سبب، فهو
فضلٌ محضٌ من الكريم المنان، خاصة أن ما ذكره العلماء من أسباب فيها
ضعف، والله يتفضل على من يشاء من عباده نسأل الله من واسع فضله
وبرّه وإحسانه.



(١) تفسير ابن كثير (٨-٤٤٢).

إضاءة

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّكُمْ الْآنَ فِي رَمَضَانَ، وَهُوَ وَحْدَهُ عُمُرٌ طَوِيلٌ لِمَنْ رَامَ
الثَّوَابَ الْجَزِيلَ، فَإِنَّ فِي لَيْلِيهِ لَيْلَةٌ وَاحِدَةٌ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، قَالَ اللَّهُ -
تعالى:- (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) فَاجْتَهِدُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِإِخْلَاصِ
الْأَعْمَالِ لِلَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- وَبَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالِابْتِهَالِ إِلَى ذِي
الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

واعلموا -رحمكم الله- أَنَّ الْمَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ يَتَحَسَّرُونَ عَلَى زِيَادَةِ
فِي أَعْمَالِهِمْ بِتَسْبِيحَةٍ أَوْ تَحْمِيدَةٍ أَوْ رُكْعَةٍ، رُئِيَ بَعْضُهُمْ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ: مَا
عِنْدَنَا أَكْثَرَ مِنَ النَّدَامَةِ، وَمَا عِنْدَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَرُئِيَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ:
قَدِمْنَا عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ نَعْلَمُ وَلَا نَعْمَلُ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَلَا تَعْمَلُونَ وَاللَّهِ
لَتَسْبِيحَةٌ أَوْ تَسْبِيحَتَانِ، أَوْ رُكْعَةٌ أَوْ رُكْعَتَانِ فِي صَحِيفَةٍ أَحَدَنَا خَيْرٌ مِنَ
الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

وفي الترمذي^(١): مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ، إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ
لَا يَكُونُ أَزْدَادًا، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونُ اسْتَعْتَبَ.

(١) الترمذي (٢٤٠٣).

يا أَيُّهَا الْعَبْدُ قُمْ لِلَّهِ مُجْتَهِدًا
وَأَنْهَضْ كَمَا نَهَضْتَ مِنْ قَبْلِكَ السُّعَدَا
هَذِي لِيَالِي الرِّضَا وَافْتِ وَأَنْتَ عَلَى
فِعْلِ الْقَبِيحِ مُصِرًّا مَا جَلَوْتَ صَدَا
قُمْ فَاعْتَنِمْ لَيْلَةَ تَحْيَا النُّفُوسُ بِهَا
وَمِثْلَهَا لَمْ يَكُنْ فِي فَضْلِهَا أَبَدَا
طُوبَى لِمَنْ مَرَّةً فِي الْعُمْرِ أَذْرَكَهَا
وَنَالَ مِنْهَا الَّذِي يَبْغِيهِ مُجْتَهِدَا
فَلَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ قَالَ خَالِقُنَا
مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ هَنِئْنَا مَنْ لَهَا شَهِدَا
وَيَنْزِلُ الرُّوحُ فِيهَا وَالْمَلَائِكُ مِنْ
عِنْدَ الْمُهَيْمِنِ لَا نُحْصِي لَهُمْ عَدَدَا
يَا فَوْزَ عَبْدٍ حُظِي فِيهَا فَوْقَهُ
رَبِّي قَبُولًا فَعَاشَ عَيْشَةَ السُّعَدَا
وَفَازَ بِالْأَمْنِ وَالْغُفْرَانِ مُغْتَبَطًا
وَنَالَ مَا يَرْجِي مِنْ رَبِّهِ أَبَدَا

اطْلُبْ مِنْ اللَّهِ إِنْ وَافَيْتَهَا سَحَرًا
جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَكُنْ مِنْ جُمَّلَةِ السَّعْدَا
وَابِكِ وَنَحْ وَتَضَرَّعْ فِي الدُّجَى أَسْفًا
عَلَى كِبَائِرَ لَا تُحْصِي لَهَا عَدَدَا
ثُمَّ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا طُلِعَتْ

شَمْسٌ وَمَا سَارَ سَارٍ فِي الْفَلَا وَحَدَا
اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ، وَأَيِّقْظَنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنَّوْمِ،
وَارزُقْنَا الاستعدادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبِحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ، اللَّهُمَّ وَعَامِلْنَا
بِإِحْسَانِكَ، وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ، واجعلنا من عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا
خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ^(١).



(١) موارد الظمآن لدروس الزمان، للسلمان (١-٤٣٧).

ليلة نزول الملائكة ومعهم جبريل - عليه السلام -

قال -تعالى-: (تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ).

«إن الإنسان يأتي بالطاعات والخيرات

عند حضور الأكابر من العلماء والزهاد

أحسن مما يكون في الخلوة،

فالله -تعالى- أنزل الملائكة المقربين

حتى أن المكلف يعلم أنه إنما يأتي بالطاعات

في حضور أولئك العلماء العباد الزهاد

فيكون أتم وعن النقصان أبعد»

فخر الدين الرازي^(١).



(١) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى سنة ٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب (٣٢-٢٣٣)، ولا يُنصح عامة الناس، بمطالعة تفسيره؛ فهو من المتكلمين الأشاعرة وعليه بعض المآخذ خاصة في المعتقد.

المشهد العظيم لمن كان له قلب نزول الملائكة وجبريل ليلة القدر

قال -تعالى-: (تَنْزَلُ الْمَلَكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ).

من خصائص هذه الليلة العظيمة نزول الملائكة ومعهم جبريل، فهو والله مشهدٌ عظيمٌ لمن كان له قلب، والله لو تأمل العبد هذا المشهد، وأن الله خصَّ هذه الليلة بهذا النزول، واستشعر فقط نزولهم بهذه الكثرة التي لا يحصيهم إلا ربهم، وأنهم يتنزلون بالرحمة والبركة والخير، لما توانى في إعطاء هذه الليلة حقها، وقد يصيب العبد فيها من بركاتهم وخيراتهم و يسعد إلى الأبد، وقد لا يحصل منها على شيء ويُجرمها، فيخسر خسارة لا تعوض، فهلاً تحيلت المشهد! منذ غروب الشمس إلى طلوع الفجر ونزول الملائكة لا ينقطع، وكلما كان الجمع أعظم، كان نزول الرحمة هناك أكثر، وهذا النزول يُشعر المؤمن بعظمة هذه الليلة، ولو استشعر من في قلبه أدنى إيمان هذا النزول لنهض من سباته، وخشع قلبه، وذرفت عينه، فالأرض تشهد نزولاً غير معتادٍ للملائكة؛ خاصة أن معهم الروح الأمين جبريل -عليه السلام-.

قوله تعالى: (تَنْزَلُ الْمَلَكَةُ) أي تنزل الملائكة من السماء إلى الأرض،

وهذا النزول كله خير، مع أن الملائكة قد تنزل بالعذاب، ولكن في هذه الليلة ما تنزل إلا بالخير. قال ابن كثير: «يَكْثُرُ تَنْزُلُ الْمَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِكثْرَةِ بَرَكَتِهَا، وَالْمَلَائِكَةُ يَتَنَزَّلُونَ مَعَ تَنْزُلِ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ، كَمَا يَتَنَزَّلُونَ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَيُحِيطُونَ بِحَلْقِ الذُّكْرِ، وَيَضْعُونَ أَجْنِحَتَهُمْ لِطَلِبِ الْعِلْمِ بِصِدْقِ تَعْظِيمًا لَهُ»^(١).

قال شيخنا: محمد بن عثيمين -رحمه الله- : «نزول الملائكة في الأرض، عنوان على الرحمة والخير والبركة، ولهذا إذا امتنعت الملائكة من دخول شيء كان ذلك دليلاً على أن هذا المكان التي امتنعت الملائكة من دخوله قد يخلو من الخير والبركة»^(٢)، فهي تنزل لأجل البركة، وهذه اللفظة (تَنْزَلُ) تفيد أنها تنزل مرة تلو المرة، حتى تنزل إلى الأرض جميعها، ولا يلزم خلو السموات منها، فهي تنزل على أفواج وأشكال، علل البعض أن الأرض لا تحتملهم من كثرتهم، ويجاب عن هذا بأن أجسام الملائكة لطيفة؛ فلا يقاس عليها أجسام البشر، ويقال أيضاً: إنها تنزل على أفواج، فوجٌ نازلٌ وفوجٌ صاعدٌ، وهذا يفيد لفظ (تَنْزَلُ) فهي تنزل على دفعاتٍ كما في الحج، فالحجاج على كثرتهم كلهم يطوفون حول الكعبة على أفواجٍ، فوج داخل و فوج خارج، ولأجل كثرة الملائكة يمتد

(١) (٨-٤٤٤) ابن كثير.

(٢) تفسير جز عم (ص ٢٧١).

هذا النزول إلى الفجر.

(الروح) الصحيح: إنه جبريل - عليه السلام - . وقيل: «صنف من الملائكة، جُعِلوا حفظةً على سائرهم، وأن الملائكة لا يرونهم، كما لا نرى نحن الملائكة». وقيل: «هم أشرف الملائكة وأقربهم من الله - تعالى -». وقيل: «إنهم جند من جند الله - عز وجل - من غير الملائكة». وقيل: «هم صنف من خلق الله يأكلون الطعام، ولهم أيدي وأرجل؛ وليسوا ملائكة». وقيل: «خلق عظيم يقوم صفًا، والملائكة كلهم صفًا». وقيل: «الروح هي الرحمة ينزل بها جبريل - عليه السلام - مع الملائكة في هذه الليلة على أهلها»،

قوله - تعالى - : (ياذن ربهم): أي بأمر ربهم، وهذا الإذن: الإذن الكوني لا الشرعي^(١)، ومعنى (ياذن ربهم): أن هذا التنزل كرامة أكرم الله بها المسلمين بأن أنزل لهم في تلك الليلة جماعات من ملائكته، وفيهم أشرفهم، وكان نزول جبريل في تلك الليلة ليعود عليها من

(١) قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله - : (ياذن ربهم أي: بأمره، والمراد به الإذن الكوني، لأن إذن الله أي أمره ينقسم إلى قسمين: إذن كوني، وإذن شرعي، فقوله - تعالى - : شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله [الشورى: ٢١] أي: ما لم يأذن به شرعًا؛ لأنه قد أذن به قدرًا، فقد شرع من دون الله لكنه ليس بإذن الله الشرعي، وإذن قدري كما في هذه الآية: ياذن ربهم أي: بأمره القدري. (تفسير جزء عم ص ٢٧١).

الفضل مثل الذي حصل في مماثلتها الأولى، ليلة نزوله بالوحي في غار حراء.^(١)

قوله -تعالى-: (من كل أمر) أي من كل أمر قضاه الله في تلك السنة، من رزق وأجل وغير ذلك. وهذا قول قتادة^(٢)، وهو الصواب.



(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠-٤٦٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٤-٥٣٤).

إضاءة

إن الملوك والسادات لا يحبون أن يدخل دارهم أحد حتى يزينون دارهم بالفرش والبسط، ويزينوا عبيدهم بالثياب والأسلحة، فإذا كان ليلة القدر أمر الرب -تبارك وتعالى- الملائكة بالنزول إلى الأرض؛ لأن العباد زينوا أنفسهم بالطاعات، بالصوم والصلاة في ليالي رمضان، ومساجدهم بالقناديل والمصابيح، فيقول الرب -تعالى- : أنتم طعتم في بني آدم و قلتم: (أتجعل فيها من يفسد فيها) الآية فقلت لكم: (إني أعلم ما لا تعلمون) اذهبوا إليهم في هذه الليلة حتى تروهم قائمين ساجدين راكعين، لتعلموا أني اخترتهم على علم على العالمين^(١).



(١) لطائف المعارف(ص١٩٢).

ليلة السلام

قال -تعالى-: (سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ).

«سلام ليلة القدر من الشرِّ كله

من أوَّلها إلى طلوع الفجر من ليلتها»

ابن جرير الطبري^(١).



(١) تفسير الطبري (٢٤-٥٣٤).

ليلة السلام

قال -تعالى-: (سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ).

ليلة القدر: هي ليلة الخير كله لا شر فيها، وهذا من خصائص هذه الليلة العظيمة أنها سلام حتى مطلع الفجر، فما ظنك بليلة يخبرنا ربنا عنها أنها سلام من الشر ما فيها إلا الخير من بدايتها إلى نهايتها؟ أفلا تستحق هذه الليلة الجد والاجتهاد؟ فلا نامت أعين الكسالى!

قوله: (سلام هي) هنا السلام مُنْكَرٌ للتعظيم و قدّمه وهو الخبر، وأخر المبتدأ، مما يفيد الحصر، أَي مَا هِيَ إِلَّا سَلَامٌ. ، وكأنها بيان لما سبق في قوله: (من كل أمر) أي أن في هذه الليلة ما يحدث إلا كل أمر سلام، لأن الملائكة قد تنزل بالعذاب، لكن في هذه الليلة الأمر مختلف، هي نازلة بكل خير، وهذا الخير والسلام خاص بأهل الإسلام من القائمين الصائمين الطالبين لليلة القدر، وهذه كالبشارة لهم من ربهم، تبعث المهمة في نفوسهم على القيام والجد والمثابرة في تحصيل فضل هذه الليلة .

ما المقصود بالسلام؟

قال الطبري: «سلام ليلة القدر من الشرّ كله من أولّها إلى طلوع الفجر من ليلتها» وهذا الصواب في معنى السلام، فما فيها إلا الخير، فينزل فيها من الخير والبركة والسعادة ما الله به عليم، فلا يكون فيها

شر، بل كلها خير، من غفران الذنوب، ويعطى العبد فيها عظيم الثواب، وإجابة الدعاء، وكل خير من الدنيا والآخرة.

قوله: (حتى مطلع الفجر) أي: يمتد هذا الخير من بداية الليلة من مغيب الشمس إلى طلوع الفجر، ومن هنا تعلم أن ليلة القدر تشمل جميع الليل، لا كما يظنه البعض أنها خاص في وقت القيام أو الثلث الأخير، بل فضلها يشمل كل أجزاء الليل، فهي خير من ألف شهر من حين مغيب الشمس إلى مطلع الفجر، فإذا طلع الفجر انتهت ليلة القدر^(١) وقيل: «إن وقت ليلة القدر يمتد حتى تشمل صلاة الفجر»، قال ابن عاشور: «وجيء بحرف (حَتَّى) لإدخال الغاية لبيان أن ليلة القدر تمتد بعد مطلع الفجر، بحيث أن صلاة الفجر تعتبر واقعة في تلك الليلة، لئلا يتوهم أن نهايتها كنهاية الفطر بآخر جزء من الليل، وهذا توسعة من الله في امتداد الليلة إلى ما بعد طلوع الفجر».

ويستفاد من غاية تَنْزُلِ الملائكة فيها، أن تلك غاية الليلة، وغاية لما فيها من الأعمال الصالحة التابعة؛ لكونها خيرًا من ألف شهر، وغاية السلام فيها)^(٢).



(١) تفسير جزء عم لشيخنا ابن عثيمين - رحمه الله - (ص ٢٧٢).

(٢) ابن عاشور التحرير والتنوير (٣٠ - ٤٦٦).

إِضَاءَةٌ

لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ يُفْتَحُ فِيهَا الْبَابُ، وَيُقَرَّبُ فِيهَا الْأَخْبَابُ، وَيُسْمَعُ
الْخِطَابُ، وَيُرَدُّ الْجَوَابُ، وَيُسْنَى لِلْعَامِلِينَ عَظِيمُ الْأَجْرِ (سلام هي حتى
مطلع الفجر).

يَسْعَدُ بِهَا الْمَوَاصِلُ، وَيَتَوَفَّرُ فِيهَا الْحَاصِلُ، وَيَقْبَلُ فِيهَا الْمُجَامِلُ، فَيَا
رَبِّحِ الْمُعَامِلِ فِي الْبَحْرِ (سلام هي حتى مطلع الفجر).

لَيْلَةٌ تُتَلَقَّى فِيهَا الْوُفُودُ، وَيَحْصُلُ لَهُمُ الْمَقْصُودُ بِالْقَبُولِ وَالْفُوزِ
وَالسُّعُودِ، أَرَى مَا يُؤْمَلِكُ أَيُّهَا الْمَطْرُودُ هَذَا الْهَجْرُ، (سلام هي حتى مطلع
الفجر) أَخْلَصُوا وَمَا أَخْلَصْتَ قَصْدَكَ، وَبَلَّغُوا الْمُرَادَ وَمَا بَلَغْتَ أَشَدَّكَ،
وَكُلَّمَا جِئْتَ بِلَا نِيَّةٍ رَدَّكَ، أَوْ لَيْسَ مَا يُؤْتِرُّ عِنْدَكَ شَدِيدُ هَذَا الزَّجْرِ (سلام
هي حتى مطلع الفجر).

أَيْقِظُ نَفْسَكَ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَانْتَظِرْ مَا سَيَأْتِي عَنْ قَلِيلٍ إِلَيْهَا، وَأَسْمِعْهَا
الْمَوَاعِظَ فَقَدْ حَضَرَتْ لَدَيْهَا، وَأَقْبَلْ نُصْحِي وَخُذْ عَلَيْهَا، صَرَبَ الْحَجْرِ
(سلام هي حتى مطلع الفجر). هَذِهِ أَوْقَاتٌ يَرْبِحُ فِيهَا مَنْ فَهِمَ وَدَرَى،

وَيَصِلُ إِلَى مُرَادِهِ كُلُّ مَنْ جَدَّ وَسَرَى، وَيُفَكُّ فِيهَا الْعَانِي وَتُطَلَّقُ الْأَسْرَى،
تَقَدَّمَ الْقَوْمُ وَأَنْتَ رَاجِعٌ إِلَى وِرَاءِ، أَوْ لَيْسَ كُلُّ هَذَا قَدْ جَرَى وَكَأَنَّهُ لَمْ
يَجْرَ؟! (سلام هي حتى مطلع الفجر)^(١).



(١) التبصرة لابن الجوزي (٢-١٠٤).

ليلة المغفرة

عن أبي هريرة -رضيَ اللهُ عنه- عن النبيِّ -صلى اللهُ عليه وسلَّم- قال: «مَنْ قامَ ليلةَ القَدْرِ إيمانًا واحتِسَابًا غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ» متفق عليه.

(ليلة القدر) الليلة التي يقومها القائمون، فإذا أصبحوا غفرت ذنوبهم فرجعوا كيوم ولدتهم أمهاتهم.

الشيخ محمد المختار الشنقيطي^(١).

يا رجال الليلِ جِدُّوا رَبِّ دَاعٍ لا يُرَدُّ
ما يقوم الليلِ إلا مَنْ له عَزْمٌ وَجِدُّ



(١) الشيخ محمد المختار الشنقيطي عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية ، وما نقلته عن الشيخ هو ضمن أسئلة عن الاعتكاف وليلة القدر، مفرغ من الأشرطة الموجودة في الموقع الالكتروني (صيد الفوائد) على الرابط التالي:

<http://www.saaaid.net/mktarat/ramadan/143.html>

ليلة المغفرة

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «مَنْ قام ليلة القدرِ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ،» متفق عليه^(١). زاد أحمد في المسند «وما تأخر»^(٢).

من قام هذه الليلة إيمانًا واحتسابًا جاد الله عليه بفضل عظيم ومنة كبرى، ألا وهي مغفرة ذنبه وخطاياها، وهذه الفضيلة العظيمة من أعظم المنن، والحاجة إليها ماسة؛ فمغفرة الذنوب غاية العباد، وهي شرف تتشوق إليه النفوس المؤمنة، فإذا قام العبد ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا يغفر له مولاه شرًّا ما صنع في ماضيه، فيقف العبد شامخًا بعدها بثياب بيضاء نقية، ويبدأ صفحة جديدة من حياته، فيستقبل أيامه وما بقي من حياته في عز الطاعة، ويحفظه ربه بمنه وكرمه من ذل المعصية إلى أن يلقاه، فأى شرف بعد هذا الشرف!؟



(١) البخاري (١٩٠١) مسلم (٧٦٠).

(٢) المسند (٢٢٣٨٦).

هل لابد من قيام كل الليل بالصلاة حتى نحصل على مغفرة الذنوب؟

لا يشترط لحصول الفضل من مغفرة الذنوب قيام الليل كله، بل يحصل بقيام بعض الليل، فلو صلى العبد في المسجد مع الإمام حتى ينصرف فهذا يطلق عليه أنه قام الليل، ويحصل على هذا الفضل العظيم بإذن الله، وكذا النساء في البيوت تقوم بعض الليل، فهي داخلة في الحديث: (من قام ليلة القدر)، وقال بعض العلماء: إن ظاهر الحديث يفيد قيام كل الليل أو أغلبه. نقول هذا الظاهر غير مراد؛ لما أخرجه الإمام مسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَامَ لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ»^(١).

وهذا نص صريح صحيح في أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن من عادته أن يقوم الليل كله، فعلى هذا من قام بعض الليل صح أنه قام ليلة القدر. وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها - وهي تحكي لنا حال النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا دخل العشر، قالت - رضي الله عنها -: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) صحيح مسلم (٧٤٦).

وسلم - إذا دخل العشر شدّ منزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله» وفي رواية: «أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد، وشد المنزر»^(١).

وقولها: «أحيا ليله» لا يتعارض مع قولها: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَامَ لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ»، بل يجمع بينهما، خاصة أن عائشة هي الراوية لهما، يقال بأن إحياء الليل ليس مقصوراً على الصلاة فقط، بل يشمل الصلاة والذكر وقراءة القرآن، وغيرها من الطاعات فطالب ليلة القدر مشغول ليس عنده وقت يضيعه في تلك الليلة العظيمة، فلا تجده إلا قائماً يصلي أو مع كتاب ربه، أو ذاكراً لمولاه، وبالجملة لا تجده إلا متنقلاً بين ما يحبه الله ويرضاه.

قال زين الدين العراقي: «لَيْسَ الْمُرَادُ بِقِيَامِ رَمَضَانَ قِيَامٌ جَمِيعٍ لَيْلِهِ، بَلْ يَحْضُلُ ذَلِكَ بِقِيَامٍ يَسِيرٍ مِنَ اللَّيْلِ، كَمَا فِي مُطْلَقِ التَّهَجُّدِ وَبِصَلَاةِ التَّرَاوِيحِ»^(٢).

وفي حديث عائشة السابق فائدة في وصف حال نبينا - صلى الله عليه وسلم - في ليالي العشر، ويعطينا منهجاً نبويّاً في العمل في هذه الليلة مع النفس والأهل.

(١) البخاري (٢٠٢٤) ومسلم (١١٧٤).

(٢) طرح الشريب في شرح التقريب (٤-١٦٤) وهذا الكتاب لزين الدين العراقي ولم يكمله وأكملة ابنه ولي الدين العراقي.

وبوّب البخاري على هذا الحديث، فقال: [باب العمل في العشر الأواخر من رمضان].

فقولها: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إذا دخل العشر شدّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله» وفي رواية: «أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد، وشد المئزر».

قولها: «شدّ مئزره» كناية عن الجد والاجتهاد، يوضحه الرواية الأخرى والتي فيها «جد وشد المئزر».

وقيل: المقصود اعتزال النساء، وقد يشمل المعنيين، خاصة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يعتكف العشر، ومن البديهي ألا يأتي النساء.

وقولها: «أيقظ أهله» فيه معنى جميل، فلم يقتصر النبي -صلى الله عليه وسلم- على نفسه وأخذ الحزم معها في هذه الليالي العشر، بل تتبع أفراد الأسرة كلهم يحثهم على العمل والجد والاجتهاد في ليالي العشر، بل لا يجعل أحداً ممن يطيق القيام إلا أقامه لإحياء هذه الليالي بطاعة الله. أخرج الترمذي^(١) من حديث زينب بنت أم سلمة، قالت: «لم يكن النبي

(١) الترمذي (٧٩٥).

-صلى الله عليه وسلم- إذا بقي من رمضان عشرة أيام يدع أحداً من أهله يطيق القيام إلا أقامه».

وتأمل قولها -رضي الله عنها-: «أحيا ليله» يستفاد منه أن الوقت إن لم تشغله بطاعة الله هو ميت لا حياة فيه، ولا يصير حياً حتى تقضيه في طاعة الله.



من شرط غفران الذنوب أن يكون القيام إيماناً واحتساباً فما المراد بالإيمان والاحتساب؟

المراد بالإيمان: هو أن تقوم هذه الليلة مؤمناً بالله مصداقاً بوعده، وبأنها حقاً من عنده، وقربة إليه، وفضيلة وطاعة، مؤمناً بأن الله قد أعطى الثواب العظيم لمن يقومها، فمن قام كما يقوم الناس لا يدري ولا يوقن بفضل الله العظيم في هذه الليلة فهذا لم يؤدِّ الشرط حقه، فتصديقك بوعد الله بأن هناك ثواباً عظيماً على قيامك هذه الليلة هو الذي يصل بك إلى المراتب العالية، فمن شك في فضل الله العظيم فهذا أساء الظن بربه وحرَم فضله.

والمراد بالاحتساب: هو ابتغاء وجه الله بقيام هذه الليلة، وتنقية العمل من الشوائب المنافية للإخلاص، فالاحتساب طلب الأجر من الله وحده، لا لغرض الرياء أو شيء آخر غير الله، فيحتسب الأجر من الله، فنفس المحتسب راغبة في الثواب، طيبة نفسه وهو قائم بالعبادة، مهما لقي في من نصب وتعب فتجده في قيامه منشرح الصدر غير مستثقل لطول القيام، لا يملُّ ولا يكلُّ، يتمنى لو أن وقته كله قيام، يجد الأُنس والراحة في قيامه.

هل تشمل مغفرة الذنوب الكبائر والصغائر؟

ظاهر قوله - صلى الله عليه وسلم - : « غفر له ما تقدم من ذنبه » يشمل جميع الذنوب، فكلمة (ذنبه) اسم جنس مضاف، فيتناول جميع الذنوب، وإلى هذا ذهب ابن المنذر، قال - رحمه الله - : « هذا قول عام يرجي لمن قامها إيماناً واحتساباً أن تغفر له جميع ذنوبه صغيرها وكبيرها »^(١) .

قال العراقي: « غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » ظَاهِرُهُ تَنَاوُلُهُ الصَّغَائِرَ وَالْكَبَائِرَ، وَإِلَى ذَلِكَ جَنَحَ ابْنُ الْمُنْذِرِ^(٢) .

قال القاري: « غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » : زَادَ أَحْمَدُ: (وَمَا تَأَخَّرَ)، أَي: مِنَ الصَّغَائِرِ، وَيُرْجَى غُفْرَانُ الْكَبَائِرِ^(٣) .

قال الشيخ محمد الشنقيطي - حفظه الله - : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً: إيماناً بالله، واحتساباً للثواب عند الله - تعالى - ، يحتسب الأجر والمثوبة عند الله - تعالى - . « غفر له ما تقدم من ذنبه » : وظاهر الحديث صغائر الذنوب وكبائرها، حاشا حقوق الناس، هذه لا تُغْفَرُ إِلَّا

(١) ابن المنذر كتاب الإشراف على مذاهب العلماء.

(٢) طرح الشريب (٤ - ١٦٢).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣-٩٦٦) وذكر ذلك على حديث الصيام ونفس المعنى في قيام ليلة القدر.

بمسامحة صاحب الحق، وهذا يدل على عظم فضلها، فيجتهد الإنسان في قيامها»^(١).

والمشهور من مذهب الجمهور أن المغفرة تشمل الصغائر فقط، أما الكبائر فتحتاج إلى توبة خاصة بها.

قال النووي: «قوله -صلى الله عليه وسلم-: «غفر له ما تقدم من ذنبه» المعروف عند الفقهاء أن هذا مختص بغفران الصغائر دون الكبائر، قال بعضهم: ويجوز أن يخفف من الكبائر ما لم يصادف صغيرة»^(٢).

ولا بن القيم^(٣) تفصيل جميل في الأعمال المكفرة وهو الأقرب عندي، يقول -رحمه الله-: «وهذه الأعمال المكفرة لها ثلاث درجات، أحدها: أن تقصر عن تكفير الصغائر لضعفها وضعف الإخلاص فيها والقيام بحقوقها بمنزلة الدواء للضعيف الذي ينقص عن مقاومة الداء كمية وكيفية، الثانية: أن تقاوم الصغائر ولا ترتقي إلى تكفير شيء من الكبائر، الثالثة: أن تقوى على تكفير الصغائر وتبقى فيها قوة تكفر بها بعض الكبائر، فتأمل هذا فإنه يزيل عنك إشكالات كثيرة»^(٤).

(١) موقع صيد الفوائد كما تقدم في الصفحة السابقة.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٦-٤٠).

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى سنة ٧٥١هـ).

(٤) الجواب الكافي ص ١٢٥.

وصدق -رحمه الله-، فمن تأمله زالت عنه إشكالات كثيرة، فالناس يتفاوتون في أداء هذه المكفرات من صلاة وصيام وقيام ليلة القدر، فلا يمكن أن يقوم جميع الناس بدرجة واحدة، فعلى حسب ما في قلب العبد من الايمان والاحتساب يكون التكفير.

فعلى هذا التفصيل فقيام ليلة القدر قد يكفر جميع الذنوب الصغائر والكبائر إذا قامها العبد صادقاً وقد حقق الإيمان والاحتساب فيها، وفضل الله واسع -نسأل الله من فضله- وظاهر هذه المغفرة أنها تشمل حتى حق العباد، لكن جاء النص بأن حقوق العباد لا بد من رضا صاحب الحق، فتبقى المغفرة خاصة بحق الله لكن من قام هذه الليلة وقام بحقها وحصل فضلها فقد يوفق ويعان على قضاء حق الخلق، فالله كريم شكور يجازي عبده ويسر أمره مع خلقه.



مغفرة ما تأخر من الذنب

أخرج الإمام أحمد في المسند عن عبادة بن الصامت أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «ليلة القدر في العشر البواقي، من قامهن ابتغاء حسبتهن فإن الله -تبارك وتعالى- يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^(١).

وعند أحمد أيضًا: «فَمَنْ قَامَهَا ابْتِغَاءَهَا إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا ثُمَّ وُفِّقَتْ لَهُ غُفْرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»^(٢).

أصل الحديث في الصحيحين: «كما تقدم»، من غير زيادة «وما تأخر» وعند الإمام أحمد زيادة «ما تأخر» أي يغفر لمن قام ليلة القدر ذنبه المتقدم والمتأخر، وهذا فضل عظيم تفيده رواية أحمد في المسند، وهذه الرواية أثبتها جمع من العلماء واحتجوا بها كالحافظ ابن حجر أثبت صحتها ورد على من قال بضعفها كما هو مفصل في كتابه (معرفة الخصال المكفرة

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٣٨٦)، والمقدسي في الأحاديث المختارة رقم (٣٤٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد عند حديث رقم (٥٠٤١): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ. وحسنه المنذري حديث رقم (١٤٧٢)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى عن أبي هريرة رقم (٢٥٢٣).
(٢) المسند (٢٢٧١٣).

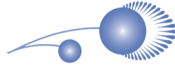
للذنوب المقدمة والمؤخرة)^(١) ، وقال بعض العلماء: «إنها شاذة» وقال بعضهم: «كل حديث ورد فيه (وما تأخر) غير صحيح؛ لأن هذا من خصائص النبي -صلى الله عليه وسلم-» ويجاب عن هذا بأن يقال: «إن هذا الفضل الحاصل بقيام ليلة القدر لا يشابه ما خصّه الله لنبيه -صلى الله عليه وسلم- من مغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وذلك لأن هذا الفضل مترتب على القيام بعمل وهو قيام ليلة القدر، وقد يقبل وقد لا يقبل، ولا بد فيه من الإيمان والاحتساب وإلا لا يحصل هذا الفضل، فالعبد يحتاج إلى جهد وعمل وإخلاص وصدق حتى يحصل على هذه المغفرة، ثم بعد هذا لا يمكن أن نجزم لأحد بهذا الفضل، بخلاف النبي -صلى الله عليه وسلم- فإننا نجزم له بهذا»

وقد حصل لأهل بدر قريبٌ من هذا كما جاء عند البخاري: «وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ فَقَالَ: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»^(٢).

(١) انظر كتاب الحافظ ابن حجر معرفة الخصال المكفرة الصفحات (من ٥٣ إلى ٦٢) ، وذكر هذه الزيادة (وما تأخر) واستشهد بها جمع من العلماء كابن الجوزي في التبصرة، وابن رجب في لطائف المعارف، وأثبتها أيضاً الهيثمي والحاكم والمنذري وولي الدين العراقي في كتاب شرح الصدر بذكر ليلة القدر (ص ٢٨)، والشيخ ابن باز انظر (مجموع الفتاوى ٦ - ٣٩٨).

(٢) البخاري (٣٠٠٧).

وهذا الفضل والمغفرة من بركة هذه الليلة العظيمة، وظاهر هذه الرواية مغفرة الذنوب المتأخرة الدهر كله إلى الممات، ولا يُستبعد هذا؛ ففضل الله واسع لا يُحَدُّ بحدٍّ، لكن لا يحصل على هذا الفضل كل قائم لهذه الليلة، بل بشرط الإيمان والاحتساب، فبحسب ما يقع في القلب من الايمان والاحتساب تكون المغفرة.



كيف تكفر الذنوب المتأخرة؟

على الزيادة الواردة عند أحمد أشكل على البعض كيف تكفر الذنوب المتأخرة؟

فقيل في ذلك: «إن الذنوب تقع مغفورة، أو إن الله يحفظهم من كبائر الذنوب».

قال العراقي: «إمَّا أَنْ يُرَادَ بِهَا الْعِصْمَةُ مِنَ الذُّنُوبِ حَتَّى لَا يَقَعَ فِيهَا، وَإِمَّا أَنْ يُرَادَ بِهِ تَكْفِيرُهَا وَلَوْ وَقَعَ فِيهَا، وَيَكُونُ الْمُكْفَرُ مُتَقَدِّمًا عَلَى الْمُكْفَرِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(١).

قال الحافظ ابن حجر: «وقد استشكلت هذه الزيادة من حيث أن المغفرة تستدعي سبق شيء يغفر والمتأخر من الذنوب لم يأت فكيف يغفر؟ والجواب عن ذلك يأتي في قوله -صلى الله عليه وسلم- حكاية عن الله -عزَّ وجلَّ- أنه قال في أهل بدر: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» ومحصل الجواب أنه قيل: إنه كناية عن حفظهم من الكبائر، فلا تقع منهم كبيرة بعد ذلك، وقيل: إن معناه أن ذنوبهم تقع مغفورة، وبهذا أجاب جماعة منهم الماوردي في الكلام على حديث صيام عرفة وأنه يكفر سنتين سنة ماضية وسنة آتية»^(٢).

(١) طرح الشريب في شرح التقريب (٤-١٦٤).

(٢) فتح الباري (٤-٢٥٢).

إضاءة

يا ليلة القدر للعابدين اشهدي، يا أقدام القانتين اركعي لربك
واسجدي، يا ألسنة السائلين جدي في المسألة واجتهدي.

يا رجال الليل جدوا رَبِّ دَاعٍ لَا يُرَدُّ
ما يقوم الليل إلا مَنْ لَهُ عَزْمٌ وَجِدٌّ

ليلة القدر عند المحبين ليلة الحظوة بأنس مولا هم وقربه، وإنما
يفرون من ليالي البعد والهجر.

يا أقدام المتهجدين اسجدي لربك واركعي، يا عيون المجتهدين لا
تهجعي، يا ذنوب التائبين لا ترجعي، يا أرض الهوى ابلعي ماءك ويا
سما النفوس أقلعي، يا بروق العشاق للعشاق المعى، يا خواطر العارفين
ارتعي، يا همم المحبين بغير الله لا تقنعي.

يا نفس فاز الصالحون بالتقى وأبصروا الحق وقلبي قد عمي
يا حسنهم والليل قد جنَّهم ونورهم يفوق نور الأنجم
ترنموا بالذكر في ليلهم فعيشهم قد طاب بالترنم
قلوبهم للذكر قد تفرغت دموعهم كلؤلؤ منتظم

أسحارهم بهم لهم قد أشرقت وخلع الغفران خير القسم
ويحك يا نفس ألا تيقظ ينفع قبل أن تزل قدمي
مضى الزمان في توان وهوى فاستدركي ما قد بقي واغتلمي^(١)



(١) لطائف المعارف ص(١٩١) بتصرف يسير.

أمارات ليلة القدر

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:
«إِنَّ أَمَارَةَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَنَّهَا صَافِيَةٌ بِلَجَّةٍ،
كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا سَاطِعًا،
سَاطِنَةٌ سَاجِيَةٌ،
لَا بَرْدَ فِيهَا وَلَا حَرَّ،
وَلَا يَحِلُّ لِكَوْكَبٍ أَنْ يَرْمِيَ بِهِ فِيهَا حَتَّى تَصْبِحَ»^(١).



(١) أخرجه أحمد في المسند رقم (٢٢٣٨٦).

العلامات التي تعرف بها ليلة القدر

العلامات التي تكون في أثناء ليلة القدر:

أخرج الإمام أحمد في المسند^(١) من حديث عبادة بن الصامت: «إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة، كأن فيها قمراً ساطعاً، ساكنة ساجية، لا برد فيها ولا حر، ولا يحل لكوكب أن يرمى به فيها حتى تصبح». بلجة: أي مشرقة مضيئة.

ساجية: قال في لسان العرب: وليلةٌ ساجيةٌ: إذا كانت ساكنة البرد والريح والسحاب غير مُظلمة^(٢).

قال ابن الجوزي في غريب الحديث^(٣): «قال ابن عباس: هواء الجنة سَجَسَج، أي: معتدل، لا حر فيها ولا قر. ومثله في صفة ليلة القدر أنها ساجية».

(١) الإمام أحمد في المسند رقم (٢٢٣٨٦) وقال الهيثمي: رجاله ثقات. قال الحافظ ابن عبد البر عن هذا الحديث بعد ما ذكره: «هذا حديث حسن، حديث غريب، وهو من حديث الشاميين، رواه كلهم ثقات وبقية إذا روى عن الثقات فليس بحديثه بأس». الاستذكار (٣-٤١٧).

(٢) لسان العرب لابن منظور (١٤-٣٧١).

(٣) غريب الحديث (١-٤٦١).

فليلة القدر ليلة معتدلة، لا قوية حر ولا قوية برد^(١)، مشرقة مضيئة، لا يرمى فيها بكونكب، وقد يُشكّل على البعض إذا كان شهر رمضان في الصيف؛ فكل الليل حر، وكذلك إذا كان في الشتاء؛ فكل الليل برد، نقول: هذه العلامة لا تعني لا حر ولا برد فيها إطلاقاً، بل فيها الحر إذا كانت في الصيف، لكن ليست قوية الحر، هي أفضل الليالي العشر اعتدالاً، فهي متوسطة في الحر، جو معتدل ملاحظ في اعتداله عن بقية ليالي الصيف، وكذلك إذا كانت في الشتاء كل الليالي باردة، تجد بردها خفيفاً غير شديد، متوسطة بين بقية الليالي.

ومع ذلك فإن هذه العلامة لا يمكن ضبطها بشكل يقيني، خاصة مع وجود آلات التكيف في الصيف -سواء في المساجد أو البيوت أو السيارات- وآلات التدفئة في الشتاء، فمن الصعب ضبط الجو الطبيعي. وكذا علامة أنها مضيئة، لا يمكن ضبطها بشكل يقيني في ظل قوة الإضاءة في المدن، فلربما تُلاحظ الإضاءة الخاصة بليلة القدر خارج حدود المدينة والعمران -في الصحراء-.

وهناك بعض العلامات الثابتة في أثناء هذه الليلة لكنها خاصة بالسنة التي حصلت فيها في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولا

(١) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢-٤٧٦).

يمكن القول بأنها علامة تعرف بها ليلة القدر في كل زمان، مثل كونها ليلة مطر، فهذه لا تعمم، والواقع يخالفها، فهي خاصة بذلك العام الذي وقعت فيه في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

وكذا ما أخرجه الامام مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: تَذَاكُرْنَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يَذْكُرُ حِينَ طَلَعَ الْقَمَرُ، وَهُوَ مِثْلُ شِقِّ جَفْنَةٍ؟»^(١).

وهذه العلامة خاصة بتلك السنة؛ لأن ليلة القدر تنتقل كل سنة، وهذا الحديث قد يفيد أنها في العشر الأواخر؛ لأن القمر لا يخرج على هيئة شق جفنة إلا آخر الشهر، وشق الجفنة هي نصف الجفنة، والجفنة: قسعة الطعام^(٢).

وهناك علامات تذكر لكن لا تصح من سقوط الأشجار في تلك الليلة إلى الأرض، ثم تعود إلى منابتها، وأن كل شيء يسجد فيها . و أن المياه المالحه تعذب تلك الليلة . أو لا يسمع فيها نباح الكلاب، كل هذا لا يصح، إضافة إلى مخالفته للواقع المحسوس،

بقيت علامة يذكرها العلماء، منضبطة لمن وفق لها وشعر بها، ألا

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب: الصيام، باب: فضل ليلة القدر، برقم (١١٧٠).

(٢) المنهاج - النووي.

وهي: طمأنينة القلب، وانسراح صدر المؤمن، فإنه يجد راحة وطمأنينة، وانسراح صدر في تلك الليلة، أكثر مما يجده في بقية الليالي^(١). مما يبعث في نفسه نشاطاً غير معهود في القيام، مع لذة العبادة، وهذا الشعور في القلب لا يتغير، وهو حق؛ لأن هذه الليلة تنزل فيها الملائكة بكثرة، ووجود الملائكة يجلب السكينة والطمأنينة، خاصة لمن هو مشغول في الطاعة، نسأل الله من فضله.

سُئِلَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : كَيْفَ يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ الْمُسْلِمُ أَنَّهُ قَدْ صَادَفْتَهُ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَعَ تَحْرِيهِ اللَّيَالِي الْمَذْكُورَةَ عَنْهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟

الجواب:

ذلك أمر وجداني يشعر به كل من أنعم الله -تبارك وتعالى- عليه برؤية ليلة القدر؛ لأن الإنسان في هذه الليلة يكون مقبلاً على عبادة الله -عز وجل-، وعلى ذكره والصلاة له، فيتجلى الله -عز وجل- على بعض عباده بشعور ليس يعتاده حتى الصالحون، لا يعتادونه في سائر أوقاتهم، فهذا الشعور هو الذي يمكن الاعتماد عليه؛ بأن صاحبه يرى

(١) الشرح الممتع (٦-٤٩٦).

ليلة القدر، والسيدة عائشة - رضي الله عنها - قد سألت الرسول - عليه الصلاة والسلام - سؤالاً ينبئ عن إمكان شعور الإنسان برؤيته لليلة القدر، حينما توجهت بسؤالها للنبي - عليه الصلاة والسلام - بقولها: «يا رسول الله! إذا أنا رأيت ليلة القدر ماذا أقول؟» قال: قولي: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» ففي هذا الحديث فائدتان: الفائدة الأولى: أن المسلم يمكن أن يشعر شعوراً ذاتياً شخصياً بملاقاته لليلة القدر. والفائدة الثانية: أنه إن شعر بذلك فخير ما يدعو به هو هذا الدعاء: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»^(١).



(١) دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net>

معرفة ليلة القدر عن طريق الرؤيا

قد يرى المسلم رؤيا تفيد بأن ليلة القدر ليلة معينة، أو تتواطأ رؤى بعض المسلمين على تحديد ليلة القدر، فيعمل بها لأن الرؤيا ثابتة شرعاً لا إشكال فيها، والرؤيا لا تُثبِتُ حكماً شرعياً جديداً، إنما تحدد الأمر المشروع مسبقاً، وهذا لا إشكال فيه، وقد حصل هذا من الصحابة كما ثبت من حديث ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: «أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيًا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ» متفق عليه^(١).

علق المهلب على حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- بقوله: فيه الحكم على صحة الرؤيا بتواطؤها وتكريرها، وهذا أصل في ذلك يجب لنا أن نحكم به إذا ترادفت الرؤى وتواطأت بالصحة؛ كما حكم النبي -عليه السلام-^(٢).

(١) البخاري ٢٠١٥ ومسلم رقم ١١٦٥.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩-٥٢٢).

قال الحافظ ابن عبد البر: (الرُّؤْيَا مِنْ عُلُومِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَحَسْبُكَ بِهَا أَخْبَرَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ عَنْ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَمَا جَاءَ فِي الْأَثَارِ الصَّحَاحِ فِيهَا عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَأَجْمَعَ أَيْمَةٌ الْهُدَى مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى الْإِيمَانِ بِهَا، وَعَلَى أَتَمِّهَا حِكْمَةٌ بِالْغَةِ، وَنِعْمَةٌ يَمُنُّ اللَّهُ بِهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَهِيَ الْمُبَشِّرَاتُ الْبَاقِيَةُ بَعْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -) (١).

قال ابن دقيق العيد عند شرحه لحديث ابن عمر السابق: «فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى عِظَمِ الرُّؤْيَا، وَالِاسْتِنَادُ إِلَيْهَا فِي الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى أُمُورِ الْوُجُودِيَّاتِ، وَعَلَى مَا لَا يُخَالَفُ الْقَوَاعِدَ الْكُلِّيَّةَ مِنْ غَيْرِهَا.

وَالِاسْتِنَادُ إِلَى الرُّؤْيَا هَهُنَا: فِي أَمْرٍ ثَبَتَ اسْتِحْبَابُهُ مُطْلَقًا، وَهُوَ طَلَبُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَإِنَّمَا تُرْجَحُ السَّبْعُ الْأَوَّخِرُ لِسَبَبِ الْمُرَائِي الدَّالَّةِ عَلَى كَوْنِهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَّخِرِ، وَهُوَ اسْتِدْلَالٌ عَلَى أَمْرٍ وَجُودِيٍّ، إِنَّهُ اسْتِحْبَابٌ شَرْعِيٌّ مَخْصُوصٌ بِالتَّكْيِيدِ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَذِهِ اللَّيَالِي، مَعَ كَوْنِهِ غَيْرَ مُنَافٍ لِلْقَاعِدَةِ الْكُلِّيَّةِ الثَّابِتَةِ، مِنْ اسْتِحْبَابِ طَلَبِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (٢).



(١) التمهيد (٢٤ - ٤٩).

(٢) إحكام الأحكام (٢ - ٣٨).

أصح العلامات الدالة على ليلة القدر

من العلامات الصحيحة الثابتة الدالة على ليلة القدر: أن الشمس صبيحة ليلة القدر تخرج مستوية ليس لها شعاع، مثل القمر ليلة البدر، ودليل هذه الأمانة والعلامة ما أخرجه مسلم في صحيحه، عَنْ عَبْدِ وَ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ سَمِعَا زَرَ بْنَ حُبَيْشٍ يَقُولُ: «سَأَلْتُ أَبِيَّ بْنَ كَعْبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، فَقُلْتُ: إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: مَنْ يَقُمِ الْحَوْلَ يُصَبُّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ. فَقَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ أَرَادَ أَنْ لَا يَتَّكِلَ النَّاسُ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهَا فِي رَمَضَانَ، وَأَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَأَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، ثُمَّ حَلَفَ لَا يَسْتَشْنِي، أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ. فَقُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ؟ قَالَ: بِالْعَلَامَةِ، أَوْ بِالآيَةِ الَّتِي أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ أَنَّهَا تَطْلُعُ يَوْمَئِذٍ، لَا شُعَاعَ لَهَا»^(١).

في هذا الحديث علامة تعرف بها ليلة القدر أخبر بها النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لكنها بعد انتهاء ليلة القدر، وهي أن الشمس تَطْلُعُ يَوْمَئِذٍ، لَا شُعَاعَ لَهَا وحتى نفهم هذه العلامة لا بد أن نعرف ما هو الشعاع.

(١) مسلم (٢٧٣٠).

قال النووي: «والشُّعاع -بضم الشين- قال أهل اللغة: هو ما يُرى من ضوئها عند بروزها مثل الحبال والقضبان مقبلة إليك إذا نظرت إليها، قال صاحب المحكم بعد أن ذكر هذا المشهور: وقيل: هو الذي تراه ممتدًا بعد الطلوع، قال: وقيل: هو انتشار ضوئها، وجمعه أشعَّة وشُعُع بضم الشين والعين، وأشعَّت الشمسُ أي نشرت شعاعها».



لماذا تكون الشمس لا شعاع لها صبيحة ليلة القدر؟

قيل: السبب في ذلك كثرة صعود الملائكة في صبيحتها، فتستر أشعة الشمس بأجنتها وأجسامها^(١).

وتَعَقَّبَ هذا القول علي القاري بقوله: «الأجسام اللطيفة لا تستر شيئاً من الأشياء الكثيفة، نعم لو قيل: غلب نور تلك الليلة ضوء الشمس، مع بعد المسافة الزمانية مبالغة في إظهار أنوارها الربانية لكان وجهاً وجيهاً وتنيهاً نبيهاً»^(٢).

وقيل: «السبب في ذلك أن الشيطان لا يخرج صبيحة تلك الليلة مع الشمس»، فكل يوم تخرج الشمس بين قرني شيطان كما هو ثابت في الصحيحين^(٣)، قالوا: «إلا صبيحة ليلة القدر، فلا يخرج معها شيطان»، وهذا هو السبب في كونها بلا شعاع، ويدل على ذلك قول ابن عباس: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَطْلُعُ مَعَ الشَّمْسِ كُلَّ لَيْلَةٍ، إِلَّا لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَطْلُعُ يَوْمَئِذٍ بِيَضَاءٍ لَا شُعَاعَ لَهَا»^(٤).

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٨-٦٥).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤-١٤٤٠).

(٣) البخاري رقم (٣٢٧٣) ومسلم رقم (٦١٢).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٨٦٦٦) والبيهقي في فضائل الأعمال رقم (١٠٤).

وقيل: «كَأَنَّ أَنْوَارَ الْخَلْقِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ تَغْلِبُهَا»^(١).

وقيل: «مِنْ كَثْرَةِ الْأَنْوَارِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ»^(٢).

وقيل: «غلب نور تلك الليلة ضوء الشمس»^(٣).

وقيل: «إنها علامة جعلها الله لليلة القدر». قاله القاضي عياض^(٤).

قال العيني: «قيل: يحتمل أن هذه الصفة اختصت بعلامة صبيحة [الليلة] التي أنبأهم النبي - عليه السلام - أنها ليلة القدر، وجعلها دليلاً لهم عليها في ذلك، لا أن تلك الصفة مختصة بصبيحة كل ليلة قدر، كما أعلمهم - عليه السلام - أنه يسجد في صبيحتها في ماء وطين، ويحتمل أنها صفة خاصة لها»^(٥).

وقيل: «إن الشمس تخرج كما تخرج كل يوم لا تتغير، لكن ضعفها وإن، ليس لها شعاع؛ بسبب حالة الجو من رطوبة أو سحب رقيقة أو ضباب خفيف، وهذه الأشياء يرسلها الله صبيحة ليلة القدر؛ حتى تكون أمانة عليها، ولو أن الشمس تخرج على غير طبيعتها في صبيحة ليلة القدر

(١) الذخيرة للقرافي (٢-٥٥٠).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٤-٤٣٤).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي قاري (٤-١٤٤٠).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٨-٦٥).

(٥) شرح سنن أبي داود للعيني (٥-٢٨٣).

لأحس الناس بها، كلهم المسلم والكافر، ولأصبحت علامة قطعية على ليلة القدر، وهذا خلاف الواقع، ويخالف الأحاديث الصحيحة التي أبهمت التعيين»^(١).

والقول إنها علامة اختصت بها هذه الليلة هو الأقرب عندي، وغيره من الأقوال يحتاج دليلاً صحيحاً صريحاً، أو علة واضحة بيّنة لا إشكال فيها.



(١) الجامع لأحكام الصيام لمحمود بن عبد اللطيف بن محمود (عويضة) ص (٢٩٠).

ما الفائدة من معرفة هذه العلامة وهي لا تعرف إلا بانقضاء الليلة؟

قال الملا على القاري في مرقاة المفاتيح: «قال ابن حجر: وفائدة كون هذا علامة مع أنه يوجد بعد انقضاء الليلة، لأنه يُسَنُّ إحياء يومها كما يُسَنُّ إحياء ليلها. اهـ. وفي قوله: (يسن إحياء يومها) نظر يحتاج إلى أثر، والأظهر أن فائدة العلامة أن يشكر على حصول تلك النعمة إن قام بخدمة الليلة، وإلا فيتأسف على ما فاته من الكرامة، ويتدارك في السنة الآتية، وإنما لم يجعل علامة في أول ليلها؛ إبقاء لها على إبهامها والله - سبحانه - أعلم»^(١).

قال شيخنا ابن عثيمين: «فإن قال قائل: ما الفائدة من العلامات اللاحقة؟ فالجواب: استبشار المجتهد في تلك الليلة وقوة إيمانه وتصديقه، وأنه يعظم رجاؤه فيما فعل في تلك الليلة»^(٢).



(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤-١٤٤٠).

(٢) الشرح الممتع (٦-٤٩٨ و٤٩٩).

هل الثواب والفضل الخاص بليلة القدر لا يناله إلا من علم بها وشعر بها؟

قال بعض العلماء: لا بد من حصول الثواب أن يعلم بها العبد ويشعر بها، حتى وإن قامها لا يحصل الفضل إلا بأن يدركها ويعلمه الله إياها. قال بهذا النووي^(١) - رحمه الله-، واستدل على هذا بما وقع عند مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: «من يقيم ليلة القدر فيوافقها»^(٢) حيث فسر الموافقة بالعلم بها، وكذا في حديث عبادة عند أحمد «من قامها إيماناً واحتساباً ثم وفقت له»^(٣)، فقال: وفقت له: أي علمها. ويوافق الحافظ ابن حجر^(٤) النووي في معنى الموافقة، لكن لا ينكر حصول الثواب الجزيل لمن قامها وإن لم يعلم بها، لكن عند الحافظ ان الثواب المعين الموعد به لا يحصل إلا من علمها، وأكثر العلماء على خلاف ذلك وأن معرفتها والعلم بها غير ملزم لحصول الثواب والفضل العظيم الذي وعد الله به وأخبر به نبيه - صلى الله عليه وسلم-، فمن قامها طالباً لها مجتهداً في تحصيلها فهذا يحصل له الثواب، سواء علمها أم لم يعلمها،

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٦-٤١).

(٢) مسلم (٧٦٠).

(٣) مسند احمد (٢٢٧١٣).

(٤) فتح الباري (٤-٢٦٧).

ومعنى الموافقة في الحديث المراد: يوافقها في نفس الأمر وإن لم يعلم بها ، فيوافق قيامه تلك الليلة أنها هي ليلة القدر، فمن وافقها ولم يعلم بها حصل له الثواب بشرط الإيثار والاحتساب. قال زين الدين العراقي: «وَلَا يَتَوَقَّفُ حُصُولُ الْمُغْفِرَةِ بِقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ عَلَى مَعْرِفَتِهَا، بَلْ لَوْ قَامَهَا غَيْرَ عَارِفٍ بِهَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، لَكِنْ بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا قَامَ بِقَصْدِ ابْتِغَائِهَا. وَقَدْ وَرَدَ اعْتِبَارُ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالطَّبْرَانِيِّ مَرْفُوعًا «فَمَنْ قَامَهَا ابْتِغَاءَهَا إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا ثُمَّ وُفِّقَتْ لَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ» (فَإِنْ قُلْتَ) قَدْ أُعْتِبِرَ شَرْطًا آخَرَ وَهُوَ أَنْ تُوفَّقَ لَهُ وَكَذَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ «مَنْ يَقُمُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فَيُؤَافِقُهَا» قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ: مَعْنَى يُؤَافِقُهَا يَعْلَمُ أَنَّهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، (قُلْتَ) إِنَّمَا مَعْنَى تُوَفِّقُهَا لَهُ أَوْ مُؤَافَقَتُهُ هَا أَنْ يَكُونَ الْوَاقِعُ أَنَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ الَّتِي قَامَهَا بِقَصْدِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ هُوَ ذَلِكَ وَمَا ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ مِنْ أَنَّ مَعْنَى الْمُؤَافَقَةَ الْعِلْمُ بِأَنَّهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَرْدُودٌ وَكَسْرٌ فِي اللَّفْظِ مَا يَقْتَضِي هَذَا وَلَا الْمَعْنَى يُسَاعِدُهُ»^(١).

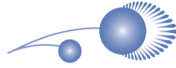
فالقول المعتبر أن الفضل حاصل لمن قام هذه الليلة إيمانًا واحتسابًا وإن لم يعلمها ويشعر بها، لكن هل يمكن أن تظهر لأحد؟ نعم يمكن أن

(١) طرح الشريب في شرح التقريب (٤ - ١٦٤).

يظهرها الله لأحد؟

قال النووي - رحمه الله -: «اعلم أن ليلة القدر يراها من شاء الله - تعالى - من بني آدم كل سنة في رمضان كما تظاهرت عليه الأحاديث وأخبار الصالحين بها ورؤيتهم لها أكثر من أن تحصر، (وأما) قول القاضي عياض عن المهلب بن أبي صفرة الفقيه المالكي: «لا تمكن رؤيتها حقيقة» فغلط فاحش نبهت عليه لئلا يغتر به»^(١).

قال شيخ الإسلام: «وقد يكشفها الله لبعض الناس في المنام، أو اليقظة. فيرى أنوارها، أو يرى من يقول له: «هذه ليلة القدر»، وقد يفتح على قلبه من المشاهدة ما يتبين به الأمر. والله - تعالى - أعلم»^(٢).



(١) المهذب للنووي.

(٢) الفتاوى الكبرى (٢ - ٤٧٦).

من علمها هل يخبر بها أو يكتمها؟

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلَا حَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «خَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلَا حَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرَفَعْتُ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالْخَامِسَةِ»^(١).

قال الحافظ ابن حجر: «اسْتَبْطَأَ السُّبْكِيُّ الْكَبِيرُ فِي الْحُلِيِّاتِ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ (التي في حديث عبادة) اسْتِحْبَابَ كِتْمَانِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ لِمَنْ رَأَاهَا، قَالَ: وَوَجْهَ الدَّلَالَةِ أَنَّ اللَّهَ قَدَّرَ لِنَبِيِّهِ أَنَّهُ لَمْ يُخْبَرْ بِهَا وَالْحَيْرُ كُلُّهُ فِيمَا قَدَّرَ لَهُ فَيَسْتَحَبُّ اتِّبَاعَهُ فِي ذَلِكَ، وَذَكَرَ فِي شَرْحِ الْمُنْهَاجِ ذَلِكَ عَنِ الْحَاوِي قَالَ: وَالْحِكْمَةُ فِيهِ أَنَّهَا كَرَامَةٌ، وَالكَرَامَةُ يَنْبَغِي كِتْمَانُهَا بِلَا خِلَافٍ بَيْنَ أَهْلِ الطَّرِيقِ مِنْ جِهَةِ رُؤْيَةِ النَّفْسِ فَلَا يَأْمَنُ السَّلْبَ، وَمِنْ جِهَةِ أَنْ لَا يَأْمَنَ الرِّيَاءَ، وَمِنْ جِهَةِ الْأَدَبِ فَلَا يَتَشَاغَلُ عَنِ الشُّكْرِ لِلَّهِ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا وَذِكْرُهَا لِلنَّاسِ، وَمِنْ جِهَةِ أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ الْحَسَدَ فَيُوقِعُ غَيْرَهُ فِي الْمُحْذُورِ، وَيُسْتَأْنَسُ لَهُ بِقَوْلِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا بُنَيَّ لَا تَقْضُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ»^(٢).

(١) البخاري (٢٠٢٣).

(٢) الفتح (٤ - ٢٦٨).

قال النووي: «قَالَ صَاحِبُ الْحَاوِي: يُسْتَحَبُّ لِمَنْ رَأَى لَيْلَةَ الْقَدْرِ أَنْ يَكْتُمَهَا، وَيَدْعُو بِإِخْلَاصٍ وَنِيَّةٍ وَصِحَّةٍ يَقِينٍ بِمَا أَحَبَّ مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا، وَيَكُونُ أَكْثَرَ دُعَائِهِ لِلدِّينِ وَالْآخِرَةِ»^(١).

والخير كل الخير في إخفائها؛ لما يلحق الناس من الأجر العظيم في الاجتهاد في طلبتها، بخلاف من علم أنها ليلة معينة فيجتهد فيها ويدع الباقي، أو يقوم بكسل بقية الشهر، والقول بكتماها يوافق الحكمة من إخفائها؛ لأن الصحيح أنها لا تعلم أبداً أي ليلة هي يقيناً، حتى لما هم النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن يخبر بها، قدّر الله أن يحدث أمرٌ ولم يخبر بها، قال الشيخ عبد الكريم الخضير^(٢) - حفظه الله -: «لو ثبت تعيين ليلة القدر عند أحدٍ من الناس برؤيا فإنه لا ينبغي أن يشيع ذلك، لأن إخفائها له حكمٌ عظيمٌ، والرسول - عليه الصلاة والسلام - المؤيد بالوحي أراد أن يخبرهم بعين هذه الليلة فتلاحي فلان وفلان فرُفِعَت، ورفعها من مصلحة العباد؛ ليجتهدوا في جميع رمضان لا سيما في العشر الأواخر» وقال الشيخ الخضير أيضاً: «الذين يتبادلون رسائل الجوال في تعيين ليلة القدر يعارضون الحكمة من إخفائها، ويعينون بعض النفوس

(١) المجموع شرح المذهب (٦-٤٦١).

(٢) الشيخ عبد الكريم الخضير - حفظه الله - عضو هيئة كبار العلماء بالملكة العربية السعودية.

الضعيفة على الكسل»^(١).

والقول بكتماها هو الحق، إلا أنه لو قيل بنشرها وبثها بشكل خاص بين من يُعَرَف عنهم التفريط في طلب ليلة القدر ممن انشغل بدنياه في ليالي العشر لكان أولى وأحسن؛ لأن هذا المفرط لو أُخبرَ أنَّ ليلة كذا هي ليلة القدر لَجَدَّ و اجتهد فيها، وقد لا تكون هي ليلة القدر، لكن هذا خيرٌ له؛ لأنه لا يقوم أبداً، فكونه يقوم ليلة واحدة وهو يترقب ليلة القدر متطلعاً لفضل الله خيرٌ من ألا يقوم أبداً! وقد تكون هذه الليلة سبباً في هدايته و صلاحه.



(١) شرح كتاب الصيام من بلوغ المرام، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير الدرس رقم ٦٦
<http://www.khudheir.com/audio/٥٢٥>.

إِضَاءة

هذه ليلة القدر وهذه بعض أماراتها، فشمّر عن ساعد الجدل لإدراكها،
قد يظهرها الله لك، وقد لا تظهر، قد تعرفها بعلاماتها أو قد تغيب عنك،
فالمعول هو الإخلاص والصدق في طلبها بجهد وعزم، وابدل كل وقتك
في طلبها، لا تُضِعْ لحظات عمرك فيما لا ينفع، واعلم أن الراحة لا تنال
بالراحة، وأن المجد لا ينال بالكسل والبطالة، ولا يَطْمَعَنَّ الْبَطَّالُ فِي
مَنَازِلِ الْأَبْطَالِ.

وَكَيْفَ يُنَالُ الْمَجْدُ وَالْجِسْمُ وَادِعٌ

وَكَيْفَ يُجَاءُ الْحَمْدُ وَالْوَفْرُ وَافِرٌ

أَيُّ مَطْلُوبٍ نَيْلَ مَنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ، وَأَيُّ مَرْغُوبٍ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى طَالِيهِ
الشُّقَّةُ، الْمَالُ لَا يُحْصَلُ إِلَّا بِالتَّعَبِ، وَالْعِلْمُ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالنَّصَبِ، وَاسْمُ
الْجَوَادِ لَا يَنَالُهُ بَخِيلٌ، وَلَقَبُ الشُّجَاعِ لَا يُحْصَلُ إِلَّا بَعْدَ تَعَبٍ طَوِيلٍ.

لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا سَيِّدُ فَطْنٍ لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالٍ

أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ فِي أَقْرَانِهِ ظُبَّةً وَالْبَيْضُ هَادِيَةٌ وَالسُّمْرُ ضَلَالٌ

يُرِيكَ مَحْبَرُهُ أَضْعَافَ مَنْظَرِهِ بَيْنَ الرَّجَالِ فِيهَا الْمَاءُ وَالْأَلُّ

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَّالُ
وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ مَا كُلُّ مَا شِئَةٍ بِالرَّحْلِ شِمْلَالُ
إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرَكُ الْقَيْحِ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ
ذَكَرُ الْفَتَى عُمُرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتَهُ مَا فَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
سُبْحَانَ مَنْ أَيْقَظَ الْمُتَّقِينَ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ خِلْعَ الْيَقِينِ، وَالْحَقَّهُمْ بِتَوْفِيقِهِ
بِالسَّابِقِينَ، فَبَاتُوا فِي جِلْبَابِ الْجِدِّ مُتَسَابِقِينَ^(١).



(١) التبصرة لابن الجوزي. بتصريف يسير (١-٤٠٢).

اطلب ليلة القدر في العشر الأواخر

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجَاوِرُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَيَقُولُ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» متفق عليه^(١).

بقدر الكدِّ تكتسبُ المعالي

ومن طلب العلا سهر الليالي

ومن رام العلا من غير كدِّ

أضاع العمر في طلب المحال

تروم العز ثم تنام ليلا

يغوص البحر من طلب اللآلي



(١) البخاري (٢٠٢٠) مسلم (١١٦٩).

التمس ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان

ليله القدر في العشر الأواخر من رمضان، منحصرة فيه، وهي تنتقل في العشر غير محددة بليلة معينة، وهي باقية لم ترفع^(١)، وتطلب في جميع ليالي العشر، الشفع والوتر، لا نجزم بليلة معينة أنها ليلة القدر، وهذا القول هو الصواب الذي تجتمع عليه الآثار والنصوص، ومن قال بخلاف هذا القول لا يسلم من معارض. وبه يضمن طالب ليلة القدر أنه أدركها، فعلى المسلم أن يجتهد في كل الليالي على حد سواء لكي يدرك هذه الليلة العظيمة، وهذا هو هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث كان يجتهد في العشر كلها على حد سواء، لا يعلم عنه أنه خص ليلة من ليالي العشر بمزيد اجتهاد.

أما إنها في العشر^(٢)، فعلى هذا أدلة كثيرة، منها: قوله -صلى الله عليه وسلم- من حديث عائشة -رضي الله عنها-: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»

(١) وقال بعضهم بأنها رُفِعَتْ. قال ابن الملقن وأعزاه الفاكهي -أي القول بالرفع- إلى أبي حنيفة وهو غريب، وإنما هو معزي إلى الرافض. الأعلام (٣٩٧-٥).

(٢) جاء عن ابن مسعود أنها تطلب في السنة كلها، وأجاب عن هذا أبي بن كعب -رضي الله عنه- ووضح مقصود ابن مسعود -رضي الله عنه- بقوله: «أَرَادَ أَنْ لَا يَتَّكِلَ النَّاسُ. أَمَا إِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهَا فِي رَمَضَانَ» مسلم رقم (٢٧٣٠).

في العشر الأواخر من رمضان « متفق عليه^(١). ولم يأت دليل صريح صحيح في تحديد أي ليلة هي من العشر؛ فهي تنتقل فيها كل عام، قال ابن عبد البر في التمهيد: «وهي عندنا تنتقل، وبهذا يصح استعمال الآثار المرفوعة وغيرها»^(٢) قال ابن رشد: «والقول الثالث: إنها ليست في ليلة بعينها، وإنما تنتقل في الأعوام، وإلى هذا ذهب مالك -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- والشافعي وأحمد بن حنبل وأكثر أهل العلم، وهو أصح الأقاويل وأولاها بالصواب والله أعلم، لأن الأحاديث كلها تستعمل على هذا، واستعمالها كلها أولى من استعمال بعضها وإطراح سائرها، لا سيما وهي كلها أحاديث صحيحة ثابتة لا مطعن فيها لأحد»^(٣).

قال ابن رشد: «وذهب ابن حبيب إلى أن تتحرى الليلة في جميع ليالي العشر على نقصان الشهر وكماله»^(٤).

ونقل الرافعي في الشرح الكبير عن مالك: «إنها في العشر ولا ترجيح لبعض الليالي على البعض»^(٥).

(١) البخاري (٢٠١٧) ومسلم (١١٦٩).

(٢) التمهيد (٢٣-٦٣).

(٣) ابن رشد، المقدمات الممهيات (١-٢٦٧).

(٤) ابن رشد، المقدمات الممهيات (١-٢٦٧).

(٥) الشرح الكبير للرافعي (٦-٤٧٨).

أما إنها تطلب في الشفع كما تطلب في الوتر؛ فلحديث أبي سعيد -رضي الله تعالى عنه- والذي جاء فيه: «فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، التَّمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ».

قَالَ أَبُو نَضْرَةَ رَأَى الْحَدِيثَ: قُلْتُ لِأَبِي سَعِيدٍ: إِنَّكُمْ أَعْلَمُ بِالْعَدَدِ مِنَّا. قَالَ: أَجَلٌ، نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكُمْ. قَالَ: فَقُلْتُ: فَمَا التَّاسِعَةُ وَالسَّابِعَةُ وَالْخَامِسَةُ؟ قَالَ: «إِذَا مَضَتْ وَاحِدَةٌ وَعِشْرُونَ، فَالَّتِي تَلِيهَا ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَهِيَ التَّاسِعَةُ، فَإِذَا مَضَتْ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ، فَالَّتِي تَلِيهَا السَّابِعَةُ، فَإِذَا مَضَى خَمْسٌ وَعِشْرُونَ فَالَّتِي تَلِيهَا الْخَامِسَةُ» أخرجہ مسلم^(١).

وهذا تفسير أبي سعيد -رضي الله عنه- أنها في الأشفاع، وهو حسبها على أن الشهر كامل، وأنها فيما بقي من الشهر، أي من آخر الشهر، فلو حسبنا آخر تسع ليالٍ والشهر كامل نبدأ من ليلة ثلاثين، لوجدنا ليلة الثاني والعشرين هي التاسعة، وهي تاسعة تبقى كما جاء التصريح في حديث ابن عباس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعة تبقى

(١) مسلم (١١٦٧).

في سابعة تبقى في خامسة تبقى» رواه البخاري^(١). فإذا كان الشهر كاملاً كانت في الشفع، إذا حسبتها على ما بقي كما حسبتها أبو سعيد - رضي الله عنه-، وإن حسبتها على ما مضى من الشهر وكان الشهر كاملاً فيكون قوله: (تاسعة) أي تاسع ليلة من أول العشر، وهي ليلة تسع وعشرين، فتكون في الأوتار، ولهذا إذا كان الشهر ناقصاً فهي في الأوتار، سواءً حسبتها على ما بقي أو ما مضى، وإذا كان كاملاً كانت في الأشفع كما بينه، ولهذا نقول: تطلب ليلة القدر في جميع ليالي العشر.

واختلف العلماء هل نحسب الشهر ناقصاً أم كاملاً؟ رجع بعض العلماء أنها تحسب على تمام الشهر؛ لأنه هو الأصل، وإلى هذا مال الحافظ ابن عبد البر^(٢). ورجح بعضهم أنها تحسب والشهر ناقص؛ لأنه هو اليقين، ولهذا الاختلاف فهي محتملة في كل الليالي.

وقال بعض العلماء: إنها في الأوتار؛ لما صحَّ في السنة التصريح بذلك كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «فالتمسوها في العشر الأواخر في الوتر»^(٣)، وعن عائشة - رضي الله عنها - : «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ

(١) البخاري (٢٠٢١).

(٢) الاستذكار (٣-٤١٢).

(٣) رواه الإمام البخاري (٢٠١٦) (٢٠١٨) (٢٠٣٦) (٢٠٤٠) ومسلم (٢٧٦٩) (٢٧٧٢).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ، مِنْ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ».

وقول العلماء: «إنها في الأوتار»، أي أنها ترجى فيه أكثر من غيره، لا أنها متعينة فيه لا تنتقل عنه، مع ذلك نقول: إن الوتر يكون باعتبار ما مضى، ويكون باعتبار ما بقي.

قال شيخ الإسلام: لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، هَكَذَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «هِيَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ». وَتَكُونُ فِي الْوَتْرِ مِنْهَا.

لَكِنَّ الْوَتْرَ يَكُونُ بِاعْتِبَارِ الْمَاضِي، فَتُطَلَّبُ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، وَلَيْلَةُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، وَلَيْلَةُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، وَلَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، وَلَيْلَةُ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ.

وَيَكُونُ بِاعْتِبَارِ مَا بَقِيَ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لِتَاسِعَةِ تَبَقَى، لِسَابِعَةِ تَبَقَى، لِخَامِسَةِ تَبَقَى، لِثَالِثَةِ تَبَقَى». فَعَلَى هَذَا إِذَا كَانَ الشَّهْرُ ثَلَاثِينَ يَكُونُ ذَلِكَ لِيَالِي الْأَشْفَاعِ. وَتَكُونُ الْإِثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ تَاسِعَةً تَبَقَى، وَلَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَابِعَةً تَبَقَى. وَهَكَذَا فَسَّرَهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ. وَهَكَذَا أَقَامَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الشَّهْرِ.

وَإِنْ كَانَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعَشْرِينَ، كَانَ التَّارِيخُ بِالْبَاقِي. كَالتَّارِيخِ
الْمَاضِي.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَحَرَّاهَا الْمُؤْمِنُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ
جَمِيعِهَا. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «تَحَرُّوْهَا فِي الْعَشْرِ
الْأَوَاخِرِ»^(١).

وقال بعض العلماء: ليلة القدر في السبع الأواخر؛ لحديث ابن عمر
- رضي الله تعالى عنهما -: «أن رجلاً من أصحاب النبي - صلى الله عليه
وسلم - أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - : أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر،
فمن كان مُتَحَرِّبًا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ» متفق عليه^(٢).

ويجاب على هذا بأن قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «فمن كان
مُتَحَرِّبًا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ» متوجه إلى ذلك العام وليست هي
في كل عام.

قال الحافظ ابن عبد البر: «والأغلب في قوله: (في السبع الأواخر)

(١) مجموع الفتاوى (٢٥ - ٢٨٥).

(٢) رواه البخاري (٢٠١٥) ومسلم (١١٦٥).

أنه في ذلك العام، والله أعلم لئلا يتضاد مع قوله في العشر الأواخر»^(١).
وقال ابن بطال: «يريد في ذلك العام الذي تواطأت فيه الرؤيا على ذلك»^(٢).

فهي في العشر الأواخر من غير تعيين ليلة معينة، وعدم تعيينها مطلب شرعي؛ ففيه خير للعبد لما يحصل عليه من إعمار وقته كل ليالي العشر بالطاعات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وبكل حال فلا نجزم لليلة بعينها أنها ليلة القدر على الإطلاق، بل هي مبهمة في العشر كما دلت عليه النصوص»^(٣).

قال ابن القيم: «وأیضا فالأحاديث التي في ليلة القدر ليس فيها حديث صريح بأنها ليلة كذا وكذا، بخلاف أحاديث ساعة الجمعة فظهر الفرق بينهما»^(٤).

قال شيخنا: «... وإذا تأملنا الأدلة الواردة في ليلة القدر تبين لنا أنها تنتقل من ليلة إلى أخرى، وأنها لا تكون في ليلة معينة كل عام،

(١) الاستذكار ص (٣٢٨-١٠).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤-١٥١).

(٣) شرح العمدة كتاب الصيام (٢-٦٩٧) بتحقيق زايد الشيري.

(٤) زاد المعاد (١-٣٨٤).

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أرى ليلة القدر في المنام وأنه يسجد في صبيحتها في ماء وطين، وكانت تلك الليلة ليلة إحدى وعشرين^(١)، وقال -عليه الصلاة والسلام-: «تحرروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان» وهذا يدل على أنها لا تنحصر في ليلة معينة، وبهذا تجتمع الأدلة، ويكون الإنسان في كل ليلة من ليالي العشر يرجو أن يصادف ليلة القدر^(٢).



(١) البخاري (٢٠١٦) مسلم (١١٦٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤-٢٢٨).

وقفه مع خلاف العلماء في تعيين ليلة القدر

اختلف العلماء في تعيينها على أقوال كثيرة، مما يدل على ضعف التعيين والتحديد بليلة معينة، إذ لو كان هناك دليل صريح صحيح لم يقع الخلاف بهذه الكثرة من الأقوال، عدَّ الحافظ بن حجر ستة وأربعين قولاً، ثم ذكر قول ابن العربي: «إِنَّهَا لَا تُعَلَّمُ» وقال: «وَهَذَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ قَوْلًا آخَرَ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا نَقَلَهُ الطَّحَاوِيُّ عَنْ أَبِي يُوسُفَ أَنَّهُ يَرَى أَنَّهَا «لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ أَوْ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ» وَقَالَ: فَإِنْ ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْهُ فَهُوَ قَوْلٌ آخَرٌ»، ثم قال: «هَذَا آخَرُ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْوَالِ»^(١). فيصبح مجموع ما ذكره الحافظ ثمانية وأربعين قولاً، لكن في الحقيقة هي أقل من ذلك؛ لأنه يمكن ردُّ بعضها إلى بعض، كما قال الحافظ نفسه: «وَبَعْضُهَا يُمَكِّنُ رَدَّهُ إِلَى بَعْضٍ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهَا التَّغَايُرَ».

قال القاري: «وقد اختلف العلماء في تعيينها على أقوال كثيرة، بلغها الحافظ في الفتح إلى أكثر من أربعين قولاً، وأكثرها يتداخل، وفي الحقيقة يقرب من خمسة وعشرين»^(٢).

(١) الفتح (٤-٢٦٦)

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. (٧-١١٨).

وبعضهم أوصلها نحو الخمسين، وبعض المعاصرين أوصلها إلى أربع وستين قولاً، فنظرت فيها فوجدت أنها لا تصل إلى هذا العدد أبداً، ولو رُدد بعضها إلى بعضٍ لما وصل إلى هذا العدد، فتجد فيما ذكر أقوالاً تتكرر لكن بصيغ مختلفة.



ليلة سبع وعشرين

تعتبر ليلة سبع وعشرين هي الليلة الأشهر عند عامة المسلمين أنها ليلة القدر.

وقال بذلك جمع من العلماء، وترتب على هذا القول تخصيص ليلة سبع وعشرين بمزيد اجتهاد وترك بقية الليالي، أو الكسل في بقية ليالي العشر والفتور فيها؛ لأنه يعتقد أنه لا يوافق ليلة القدر إلا بقيام ليلة سبع وعشرين، وبقية الليالي ليس فيها ليلة القدر، فإذا قام ليلة سبع وعشرين يجد نفسه أنه قام ليلة القدر، فيدع بقية الليالي ولا ينشط لها، وترتب على هذا القول أيضًا أن بعضهم يخصُّها بعمره^(١)، فلا يعتمر إلا في هذه

(١) قال شيخنا محمد بن صالح بن عثيمين -رحمه الله-: «تنبيه: هنا مسألة يفعلها كثير من الناس، يظنون أن للعمرة في ليلة القدر مزية، فيعتمرون في تلك الليلة، ونحن نقول: تخصيص تلك الليلة بالعمرة بدعة؛ لأنه تخصيص لعبادة في زمن لم يخصصه الشارع بها، والذي حث عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- ليلة القدر هو القيام الذي قال الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيه: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» ولم يرغب في العمرة تلك الليلة، بل رغب فيها في الشهر، فقال: «عمرة في رمضان تعدل حجًا» فتخصيص العمرة بليلة القدر، أو تخصيص ليلة القدر بعمره هذا من البدع. ولما كانت بدعة صار يلحق المعتمرين فيها من المشقة الشيء العظيم، حتى إن بعضهم إذا رأى المشقة في الطواف، أو في السعي انصرف إلى أهله، وكثيرًا ما تُسأل عن هذا، شخص جاء يعتمر ليلة السابع والعشرين، فلما رأى الزحام تحلل، فانظر كيف يؤدي الجهل بصاحبه إلى هذا العمل المحرم، وهو التحلل من العمرة بغير سبب شرعي. إذاً ينبغي لطلبة العلم، بل يجب عليهم أن يبينوا هذه المسألة للناس. أما إكمال هذه العمرة فواجب؛ لأنه لما شرع فيها صارت واجبة، كالنذر أصله مكروه ويجب الوفاء به إذا التزمه، ولا يحل له أن يحل منها، وإنما البدعة هي تخصيص العمرة بتلك الليلة» الشرح الممتع (٦- ٤٩٤ و ٤٩٥).

الليلة، وتخصيص العمرة في هذه الليلة بدعة؛ لأنه تخصيص عبادة في زمن لم يخصصه الشرع لها، ويترتب على هذا حرج شديد من تدافع الناس إلى بيت الله الحرام لأداء العمرة. وليس ثمة دليل صحيح صريح على القول بأن ليلة سبع وعشرين هي ليلة القدر، غاية ما استدلوا به حديث أبي في صحيح مسلم عن عبدة و عاصم بن أبي النجود سمعا زرب بن حبيش يقول: «سألت أبي بن كعب -رضي الله عنه-، فقلت: إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقيم الحول يصب ليلة القدر. فقال: رحمه الله أراد أن لا يتكلم الناس. أما إنه قد علم أنها في رمضان. وأنها في العشر الأواخر. وأنها ليلة سبع وعشرين. ثم حلف لا يستني. أنها ليلة سبع وعشرين. فقلت: بأي شيء تقول ذلك؟ يا أبا المنذر قال: بالعلامة، أو بالآية التي أخبرنا رسول الله أنها تطلع يومئذ، لا شعاع لها» (١).

وأبي -رضي الله عنه- لم يقسم على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبره أن ليلة القدر هي ليلة سبع وعشرين، وإنما هو سمع هذه العلامة من النبي -صلى الله عليه وسلم- كما سمعها غيره من الصحابة، واجتهد هو في تطبيقها على الواقع المحسوس، وهذا اجتهاد ظني منه، والنبي -صلى الله عليه وسلم- لم يخبر أحداً بليلة القدر.

(١) مسلم (٢٧٣٠).

لهذا كان قول أبيّ -رضي الله عنه- ظنيّاً لا يلزم الأخذ به، ولا حجة فيه مقابل النصوص الكثيرة الصحيحة والتي تثبت إنها غير معلومة وغير محددة بليلة معينة، حتى نبينا -صلى الله عليه وسلم- لما خرج ليخبر بها نسيها، ولم يعلم أي ليلة هي، وقال كما عند البخاري^(١): «خَرَجْتُ لِأَخْبِرْكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلَا حَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَرَفَعْتُ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ». وأخرج محمد بن نصر عن واهب بن عبد الله المعافري، أنّه سَأَلَ زَيْنَبَ ابْنَةَ أُمِّ سَلَمَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَقَالَتْ: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَعْلَمُهَا، وَلَوْ عَلِمَهَا لَمْ تَقُمْ النَّاسُ غَيْرَهَا»^(٢). وكان -صلى الله عليه وسلم- كل عام في رمضان يجتهد في طلبها، ويحث على التماسها في العشر الأواخر، ولم يُعيّنْها لأحد، ولو كانت معينة في ليلة معينة لكان أولى الناس بمعرفتها النبي -صلى الله عليه وسلم- وما خفيت عليه، فكيف تخفى -عليه صلى الله عليه وسلم- ويعلمها أبيّ -رضي الله عنه-؟.

واستدل بعضهم على أنها ليلة سبع وعشرين بأن كلمة (هي) في قوله: (سلام هي) في السورة هي الكلمة السابعة والعشرون. «ولكن

(١) البخاري (٢٠٢٣)

(٢) قيام رمضان لمحمد بن نصر المروزي (١-٢٤٧).

هذا ليس بشيء وهو من مُلح التفسير وليس من متين العلم^(١).
واستنبط بعضهم ذلك في جهة أخرى، فقال: ليلة القدر تسعة
أحرف، وقد كرر الله ذكر ليلة القدر ثلاث مرات، وتسع إذا ضربت
في ثلاث فالنتج سبع وعشرون. وكل ذلك غلط لا يمت للعلم بشيء.



(١) تفسير من عطية (١-٦١).

بدعة صلاة القدر

وهذه من البدع المحدثه، وتسمى صلاة القدر نسبة إلى ليلة القدر، وتكون هذه الصلاة في الليلة التي يظنون أنها ليلة القدر.

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن قوم يصلون بعد التراويح ركعتين في الجماعة، ثم في آخر الليل يصلون تمام مائة ركعة، ويسمون ذلك صلاة القدر.

وقد امتنع بعض الأئمة من فعلها: فهل الصواب مع من يفعلها أو مع من تركها؟ وهل هي مستحبة عند أحد من الأئمة أو مكروهة؟ وهل ينبغي فعلها والأمر بها، أو تركها والنهي عنها؟

فأجاب: الحمد لله، بل المصيب هذا الممتنع من فعلها، والذي تركها فإن هذه الصلاة لم يستحبها أحد من أئمة المسلمين، بل هي بدعة مكروهة باتفاق الأئمة، ولا فعل هذه الصلاة لا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا يستحبها أحد من أئمة المسلمين والذي ينبغي أن تترك وينهى عنها^(١).



(١) مجموع الفتاوى (٢٣-١٢٢).

إذا أردت أن تدرك فضل ليلة القدر فاحذر المخاصمة والمشاحنة

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَّحَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: «خَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلَّحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرَفَعْتُ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالْحَامِسَةِ»^(١).

والملاحاة هي المخاصمة والمنازعة والمشاتمة.

تأمل بسبب تلاحي الرجلين ، حرم الصحابة معرفة هذه الليلة.

قال ابن بطال: «وهذا يدل أن الملاحاة والخلاف يصرف فضائل كثير من الدين، ويحرم أجراً عظيماً»^(٢).

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله-: «ومن التوبة الخروج من المظالم، والتخلي من حقوق الخلق، في الدماء والأموال والأعراض، وترك التشاحن؛ وفي الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: أريت ليلة القدر، فخرجت لأخبركم، فتلاحي رجلان

(١) البخاري (٢٠٢٣).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤-١٥٨).

فرفعت فهذا يدل على أن التشاحن من أسباب موانع حصول الخير^(١).
فقد يحرم العبد فضل هذه الليلة بسبب خصومة مع أحد من
المسلمين، فمن أراد النجاة فليخرج من قلبه كل ضغينة أو شحناء،
وليصفح عن إخوانه، وليطلب العفو من كل من أخطأ في حقه، وليدعو
لهم بظهر الغيب، لعل الله يمنُّ عليه بفضل هذه الليلة العظيمة.



(١) الدرر السننية (١٤ - ٤٧٦).

الاعتكاف من أقوى الأسباب لإدراك ليلة القدر

من استطاع أن يعتكف العشر الأواخر من رمضان فقد حاز أعظم الأسباب لإدراك ليلة القدر مع ما في الاعتكاف من الخير العظيم، فكان نبينا -صلى الله عليه وسلم- حريصًا على إدراك ليلة القدر كل الحرص، حتى إنه اعتكف العشر الأول من رمضان يطلبها، ثم اعتكف العشر الأوسط يطلبها، ثم أخبر أنها في العشر الأواخر، فاعتكف العشر الأواخر، كما جاء في صحيح مسلم^(١) من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قوله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنِّي اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ، أَلْتَمَسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتَيْتُ، فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْتَكِفَ فَلْيَعْتَكِفْ».

وهذا كله من الحرص الشديد على ألا تفوته ليلة القدر، لما في الاعتكاف من الخلوة بربه وقلة الخلطة بالناس.

قال شيخنا ابن عثيمين -رحمه الله-: «والمقصود بالاعتكاف: انقطاع الإنسان عن الناس؛ لِيَتَفَرَّغَ لَطَاعَةِ اللَّهِ فِي مَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِهِ طَلَبًا لِفَضْلِهِ وَثَوَابِهِ وَإِدْرَاكِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمَعْتَكِفِ أَنْ

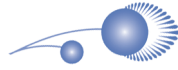
(١) مسلم (١١٦٧).

يشتغل بالذكر والقراءة والصلاة والعبادة، وأن يتجنب ما لا يعنيه من حديث الدنيا، ولا بأس أن يتحدث قليلاً بحديث مباح مع أهله أو غيرهم لمصلحة، لحديث صَفِيَّةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ - رضي الله عنها - قالت: «كان النبي - صلى الله عليه وسلم - معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمتُ لأنقلبَ (أي: لأنصرفَ إلى بيتي) فقامَ النبيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - معي» (الحديث)»^(١).

قال الحافظ ابن رجب: «وإنما كان يعتكف النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا العشر التي يطلب فيها ليلة القدر قطعاً لإشغاله وتفرغاً للياليه وتخلياً لمناجاة ربه وذكره ودعائه، وكان يحتجر حصيراً يتخلى فيها عن الناس فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم، ولهذا ذهب الإمام أحمد إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس حتى ولا لتعلم علم وإقراء قرآن بل الأفضل له الانفراد بنفسه والتخلي بمناجاة ربه وذكره ودعائه، وهذا الاعتكاف هو الخلوة الشرعية وإنما يكون في المساجد لئلا يترك به الجمع والجماعات، فإن الخلوة القاطعة عن الجمع والجماعات منهي عنها، سئل ابن عباس عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يشهد الجمعة والجماعة، قال: هو في النار. فالخلوة المشروعة لهذه الأمة هي الاعتكاف

(١) مجالس شهر رمضان (ص ١١٨) وحديث صافية متفق عليه.

في المساجد خصوصًا في شهر رمضان، في العشر الأواخر منه، كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يفعلُه فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه، فما بقي له هم سوى الله وما يرضيه عنه، ... فمعنى الاعتكاف وحقيقته: قطع العلاقات عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق، وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والأنس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله - تعالى - بالكلية على كل حال»^(١).



(١) لطائف المعارف ص (١٩٠).

الحكمة من إخفاء ليلة القدر

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَّحَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «خَرَجْتُ لِأُخْبِرْكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلَّحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرَفِعْتُ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالْحَامِسَةِ»^(١).

فقوله - صلى الله عليه وسلم - : «وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ» بيان في أن الخير في عدم معرفتها، فالخير في إعمار ليالي العشر بالقيام والذكر وجميع الطاعات رجاء إدراكها، وقوله: (فَرَفِعْتُ) المقصود: رفع العلم بها، لا رفع ليلة القدر وأنها غير موجودة؛ بدليل قوله: «فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالْحَامِسَةِ». ففي الحديث أن الخير في إخفائها، وذلك بالجد في طلبها في العشر كاملة، فتعمر أوقات العشر بالعبادة.

قال النيسابوري: «الحكمة في إخفاء ليلة القدر في الليالي، كالحكمة في إخفاء وقت الوفاة ويوم القيامة؛ حتى يرغب المكلف في الطاعات ويزيد في الاجتهاد ولا يتغافل ولا يتكاسل ولا يتكل»^(٢).

(١) البخاري (٤٩) و(٢٠٢٣) و(٦٠٤٩).

(٢) غرائب القرآن ورجائب الفرقان (٦-٥٣٧).

وقال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله - : «وإنما أبهما الله - عز وجل - لفائدتين عظيمتين: الفائدة الأولى: بيان الصادق في طلبها من المتكاسل؛ لأن الصادق في طلبها لا يهمله أن يتعب عشر ليالٍ من أجل أن يدركها، والمتكاسل قد يكسل ويقول: ما دام لا أدري أي ليلة هي يكسل أن يقوم عشر ليالي من أجل ليلة واحدة. الفائدة الثانية: كثرة ثواب المسلمين بكثرة الأعمال، لأنه كلما كثر العمل كثر الثواب»^(١).



(١) تفسير جزء عم (ص ٢٧٣).

استحباب الاغتسال والطيب ليلة القدر

قال -تعالى-: (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) وقال ابن عمر: الله أحق أن يتزين له.

والأصل في المسلم أن يتزين بكل ما يستطيع من زينة اللباس وأن يغتسل ويتطيب عند رواحه إلى الصلاة في المسجد. وكما قال ابن عمر: (الله أحق أن يتزين له). وهذا الفهم لا يخرج إلا ممن عظم قدر ربه، وكلما عظمت ربك في قلبك تزينت له بأحسن زينة وأنت تقف بين يديه، فاختر لنفسك أحسن زينة يراها ربك عليك وأنت واقف بين يديه، ومن المؤسف حقاً أنك تجد من يتزين للمخلوقين بأحسن زينة، ولا ترى عليه هذه الزينة لما يقف بين يدي ربه، بل وصل ببعض المسلمين أن يأتي للمسجد بثياب خصَّصها للنوم، و تجده يستحي أن يقابل بها ضيفه! وهذا من جهله بقدر ربه.

وبالعوض تجد الطيب يفوح منه في كل مناسبة، أما في المسجد لا تجد منه شيئاً، هذا إن لم تشم منه ما تكره! وبيت الله أحق بكل طيب.

فأخذ الزينة عند المساجد والنظافة بشكل عام في البدن والملبس والطيب هو ديدن المسلم في كل وقت، وإذا اجتمع هذا مع زمن ومكان

مبارك وجمع للمسلمين كان أكد، ففي العشر الأواخر من رمضان يتأكد الأمر؛ لاجتماع فضائل لا تجتمع إلا في هذه الليالي، وهي أفضل ليالي السنة، وفيها ليلة القدر التي يتحراها المسلم، لهذا أُثِرَ عن جمع من سلف هذه الأمة تعظيم هذه الليالي بالاعتسال لها والاستعداد بأحسن ما يمكن من زينة من الطيب ولبس أحسن الثياب والاعتسال.

فقد كان النخعي يغتسل في العشر كل ليلة، ومن السلف من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر.

وروي عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: أنه إذا كان ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيب ولبس حلة إزار أو رداء، فإذا أصبح طواهما فلم يلبسهما إلى مثلها من قابل.

وقال حماد بن سلمة: كان ثابت البناني وحميد الطويل يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيبان ويطيبون المسجد بالنضوح والدخنة في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر.

وقال ثابت: كان لتميم الداري حلة اشتراها بألف درهم وكان يلبسها في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر.

وقد جاءت بعض الأحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في الاعتسال ليالي العشر، لكن فيها ضعف، ولكن أصل الاستحباب

موجود، وفعل السلف يؤيد هذا، وقد يلتمس استحباب التطيب والنظافة من نزول الملائكة ليلة القدر حيث تملأ الأرض، وهي تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فمن استشعر هذا المعنى لم يدع الطيب والزينة طيلة ليالي العشر في كل وقت وفي أي مكان.

قال الحافظ ابن رجب بعد ذكر ما جاء عند السلف في الاغتسال والتطيب: «فتبين بهذا أنه يستحب في الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر التنظف والتزين والتطيب بالغسل والطيب واللباس الحسن، كما يشرع ذلك في الجمع والأعياد، وكذلك يشرع أخذ الزينة بالثياب في سائر الصلوات، كما قال -تعالى-: (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) [الأعراف: ٣١]، وقال ابن عمر: «الله أحق أن يتزين له»، وروي عنه مرفوعاً: «ولا يكمل التزين الظاهر إلا بتزين الباطن» بالتوبة والإنابة إلى الله -تعالى- وتطهيره من أدناس الذنوب وأوضارها؛ فإن زينة الظاهر مع خراب الباطن لا تغني شيئاً، قال الله -تعالى-: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ) [الأعراف: ٣٢].

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى

تقلب عرياناً وإن كان كاسياً

لا يصلح لمناجاة الملك في الخلوات إلا من زين ظاهره وباطنه
وطهرهما خصوصاً لملك الملوك الذي يعلم السر وأخفى، وهو لا ينظر
إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، فمن وقف بين يديه فليزين
له ظاهره باللباس وباطنه بلباس التقوى»^(١).



(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص ١٨٩).

الاحتفال بليلة القدر

لما كانت ليلة القدر أفضل الليالي ونزل فيها القرآن العظيم قال البعض: ينبغي أن تكون عيداً للمسلمين ويحتفل بها، وحصل من بعض الجهال الاحتفال ببعض الليالي مثل ليلة سبع وعشرين على أنها ليلة القدر، فتلقى فيها الخطب وتوزع فيها الهدايا والأطعمة، وهذا كله من البدع^(١). و الجهل في الدين، فالذي نزل عليه القرآن وجاء بفضلها -صلى الله عليه وسلم- لم يفعل هذا، ولم يقل يوماً أو يحث على الاحتفال بها، ثم هي لا تُعلم، فكيف نحتفل بليلة لا تُعلم؟ ثم الاحتفال الحق بليلة القدر هو الاجتهاد فيها بقيامها وبذل الجهد في ليالي العشر بالقيام وجميع أعمال البر، هذا هو هدي النبي -صلى الله عليه وسلم-، فكان يجتهد في ليالي العشر ما لا يجتهد في غيرها. تقول عائشة -رضي الله عنها-: «كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا دخل العشر الأخيرة من رمضان شد مئزره وأحيا ليله»، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» رواه البخاري ومسلم.

(١) انظر فتاوى اللجنة الدائمة الفتوى رقم (١٥٨٨٢).

فلا جتهاد بقيامها والاعتكاف فيها وبذل أقصى ما يمكن من جهد
فيها بأعمال البر التي تقرب إلى الله هو العمل المطلوب فيها وهو هدي
النبي -صلى الله عليه وسلم- وسلف هذه الأمة وخير الهدي محمد
-صلى الله عليه وسلم-.



الحائض والنفساء في ليلة القدر

هل للحائض والنفساء حظ من فضائل ليلة القدر؟ نعم، لا شك. قال الضحاك: «كل من تقبل الله عمله سيعطيه نصيبه من ليلة القدر» والله لا يخيب أحداً طلبه بصدق، وقد تحصل الحائض على ثواب قيام ليلة القدر من المغفرة وإن لم تصل، وذلك إذا قويت نيتها وكانت مواظبة على القيام من قبل، ولم يمنعها إلا العذر الشرعي، ونفسها تتوق للقيام، فمثل هذه يرجى لها تحصيل الثواب كاملاً وفضل الله واسع.

ويشهد لهذا ما جاء في الصحيح: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَاِدْيَا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ».

ففي الحديث التصريح أن من حبسه العذر يكتب له الأجر كاملاً إذا صَحَّتْ نِيَّتُهُ.

قال ابن القيم: «...وَإِذَا كَانَ الشَّارِعُ قَدْ نَزَلَ العَاجِزَ عَنِ الطَّاعَةِ مَنزِلَةَ الفَاعِلِ لَهَا، إِذَا صَحَّتْ نِيَّتُهُ، كَقَوْلِهِ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «إِذَا مَرَضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَاحِحًا مُقِيمًا» وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا عَنْهُ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَاِدْيَا إِلَّا كَانُوا

مَعَكُمْ، قَالُوا: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ»^(١).

وكذا المريض ممن منعه مرضه عن قيام ليلة القدر أو المسافر الذي منعه سفره وهو ممن يقومها ولم يمنعه إلا السفر والمرض، فهذا له الأجر كاملاً بالنص السابق «إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَاحِبًا مُقِيمًا».

ثم للحائض والنفساء إحياء الليل بكل طاعة غير الصلاة، و فمن أفضل القرب والطاعات قراءة القرآن في رمضان، وخاصة ليالي العشر، ولا يمنعها الحيض والنفاس من قراءة القرآن فالصحيح من أقوال العلماء أن لها أن تقرأ القرآن من غير مسٍّ له، ولها أن تمسكه بحائل مثل القفازين وغيرها، ومن أعمال البر الدعاء والذكر، خاصة قول: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ مُجِبُّ الْعَفْوِ فَاعْفُ عَنِّي» وبالجملة عليها أن تشغل نفسها بكل ما يرضي ربهما وسوف يرضيها ربهما بفضلها وكرمه.



(١) مدارج السالكين (١-٢٩٦).

إضاءة

كانت امرأة حبيب أبي محمد تقول له بالليل: قد ذهب الليل، وبين أيدينا طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا.

يا نائم الليل كم ترقد قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وأوقاته وردا إذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوي الأبواب أهل التقى قنطرة العرض لكم موعد

دونكم فرصة العمر ليلة القدر، والله هي حقاً ليلة العمر، من فاته فضلها فاته الخير وكان من المحرومين، وهي في عشر ليالٍ فقط لا غير، وهي والله ساعات نعدّها عدّاً، فما عليك إلا عقد النية الصادقة في تحصيلها، ثم النهوض بقوة وعزم، ومنافسة القوم لبلوغ قمة مجدها.

وإن رأيت من نفسك كسلاً فتأمل حال نبيك -صلى الله عليه وسلم- وهو أفضل البشر، كيف كان يسهر الليالي يطلب ليلة القدر، وكان يعتكف طلباً لها، وكان من حرصه أنه اعتكف العشر الأوّل ثم

الأوسط ثم العشر الآخر، كل هذا سعيًا في إدراكها، وكان يجتهد في ليالي العشر ما لا يجتهد في غيرها.

وتذكر يوم يقال: «غدًا العيد!» يا الله! كم هي فرحتك إن كنت من الجادين في طلبها وأتعبت نفسك في تحصيلها!، وكم هو حزنك وخيبتك لو كنت من المفرطين وقد انتهى الوقت وذهب التعب والنصب، وما بقي إلا الفوز والفلاح لطلابها، والخيبة والخسران للبطالين المتكاسلين!.

أَيَّنْ مِنْ يَجْزِرُ الْعَذَابَ وَيَخْشَى أَنْ يُصَلِّيَ الْجَحِيمَ مَأْوَى اللَّثَامِ
أَيَّنْ مِنْ يَشْتَهِي التَّذَاذًا بِحُورٍ فِي جَنَّاتِ الْخُلُودِ بَيْنَ الْخِيَامِ
الْتَمَسَ فِيهِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَاتْرَكَ التَّمَسُّسَ لَهَا لِذِيذِ الْمَنَامِ
وَاجْتَهَدَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَاسْأَلَ فَضْلَهُ عِنْدَ غَفَلَةِ النَّوَامِ
يَا لَهَا خَيْبَةٌ لِمَنْ خَابَ فِيهِ عَنِ بُلُوغِ الْمَنَى بَدَارِ السَّلَامِ
يَا لَهَا حَسْرَةٌ لِمَنْ كَانَ فِيهِ سَاتِرًا شَرَّهُ بِثُوبِ الظَّلَامِ
يَا إِلَهَ الْجَمِيعِ أَنْتَ بِحَالِي عَالِمٌ فَاهْدِنِي سَبِيلَ الْقَوَامِ



أفضل ما يطلبه العبد من ربه في ليلة القدر

«لو علمت أي ليلة ليلة القدر؛ لكان أكثر دعائي فيها أن أسأل الله العفو والعافية»^(١).

(أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها-)

يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر
أكبر الأوزار في جنب عفو الله يصغر



(١) رواه النسائي في الكبرى (١٠٦٤٨)، والبيهقي في الشعب ٣٤٢٨ «مَا سَأَلْتُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا الْعَافِيَةَ» وأخرجه ابن أبي شيبة (٢٩١٨٩).

أفضل ما يقال ليلة القدر

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ مُجِيبُ الْعَفْوِ فَاعْفُ عَنِّي» (١).

رضي الله عن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق، فقد سألت سؤالاً عظيماً كل الأمة بحاجة إليه، وقد جاءت الإجابة بأوجز عبارة ممن أوتي

(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٣) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وابن ماجه (٣٨٥٠) . وأحمد رقم (٢٥٣٨٤ - ٢٥٤٩٥) وابن أبي شيبة (٢٩١٨٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٤٢٦) وفي فضائل الأوقات (١١٣ و ١١٤) وفي الأسماء والصفات رقم (٩٢) وفي الدعوات الكبير (٢٣٤) وفي السنن الصغرى للبيهقي (١٤٠٣) والحاكم في المستدرک وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ « رقم (١٩٤٢) والنسائي في الكبرى رقم (٧٦٦٥ - ١٠٦٤٦) وعنه ابن السني في عمل اليوم والليلة (١-٦٩٠) وإسحاق ابن راهويه في مسنده (١٣٦١) وفي قيام الليل للمروزي (المختصر ج ١ ص ٢٥٩) و معجم أبو يعلى الموصلي رقم (٤٣) و الدعاء للطبراني رقم (٩١٦) والتوحيد لابن منده رقم (٣٠٠) ومسند الشهاب القضاعي رقم (١٤٧٤).

والحديث صحيح ولا حجة لمن أعله، وكل من أعله تبع الدارقطني في ذلك كالبيهقي ومن جاء بعده إلى اليوم وقد أعله الدارقطني بأن عبد الله بن بريدة (لم يسمع من عائشة شيئاً) ولكن عبد الله بن بريدة عاصر عائشة -رضي الله عنها- وهذا يكفي في إمكانية سماعه منها، فهو عاصره يقيناً، وهو ثقة، ولم يعرف بالتدليس، بل هو من رجال الصحيح، ولهذا صحح الحديث علماء كثر من المحققين على مر التاريخ وأخذوا به واحتجوا به إلى يومنا هذا. وانظر كلام المحدث الألباني -رحمه الله- حول هذا الحديث، وقد كان الشيخ الألباني -رحمه الله- قد تبع الدارقطني في تضعيفه، ثم رجع عن ذلك وقال بصحته. انظره في السلسلة الصحيحة (٧-١٠١٠).

جوامع الكلم - صلى الله عليه وسلم -، واستفدنا فائدة عظيمة عن أعظم الأدعية في أفضل الأوقات وأبركها، ولك أن تتخيل هذا المشهد العظيم الجميل بين سيد الأنبياء والرسول - صلى الله عليه وسلم - و زوجته أحب الناس إليه، وتخيل معي تلك اللحظات التي تأتي عائشة - رضي الله عنها - وهي أطوع نساء الأمة وأحبهن للخير تسأل زوجها و من يحبها ويقدمها على كل الناس وهو النبي - صلى الله عليه وسلم -، وما هناك أنصح منه - صلى الله عليه وسلم - للأمة، وتخيل تلك الساعة التي تجلس فيها عائشة - رضي الله عنها - عند زوجها وأحب الناس إليها، وهو ولا يقدم في الحب غيرها، تطلب منه النصح وهو نبي الله المؤيد بالوحي، وهي تسأل: ما تقول في ليلة القدر أعظم الليالي؟ وعائشة رضي الله عنها حريصة على أن تفعل أفضل شيء يمكن فعله في هذه الليلة، ونبينا - صلى الله عليه وسلم - سوف يوصيها بأعظم وصية وأفضل ما يقال، وسوف ينصح لها أعظم النصح، سوف يقول أفضل كلمات تقال في تلك الساعة، كل الأمة مترقبة لهذه الإجابة التي تخرج من مشكاة النبوة إلى أم المؤمنين أحب الخلق إليه، فكانت هذه الكلمات العظيمة التي هي من جوامع الكلم: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ مُجِيبُ الْعَفْوِ فَاعْفُ عَنِّي)، وهي ليست خاصة بليلة القدر فقط، أو في رمضان وحده، بل ينبغي أن تصبح ديدن المسلم في كل وقت. وعلم من هذه الوصية أن طلب العفو

من الله من أعظم الأدعية التي ينبغي أن لا يفتر عنها العبد؛ لأن من عفا عنه ربه فقد فاز، وأي شيء يطلبه العبد بعد العفو عنه؟! قال ابن القيم -رحمه الله-: لا سبيل له (أي للعبد) إلى النجاة إلا بعفوه ومغفرته -جلّ وعلا- وأنه رهين بحقه، فإن لم يتعمده بعفوه ومغفرته، وإلا فهو من الهالكين لا محالة، فليس أحد من خلقه إلا وهو محتاج إلى عفو ومغفرته كما هو محتاج إلى فضله ورحمته^(١).



(١) مفتاح دار السعادة (١- ٢٩١).

اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي

اللهم: أي يا الله!.

إنك عفو تحب العفو: وهذه كالمقدمة لما تطلب، تدخل فيها على الله، وتتوسل إليه بأسمائه وصفاته المناسبة للدعوة، فطلب العفو يناسب التوسل باسم العفو، وهذا من أسباب الإجابة أن تطلب وتختار اسماً يناسب الدعاء، والله يحب المدح فتمدحه بما يجب.

فاعف عني: هذا هو غاية ما تطلب، العفو، وكأنك تقول: يا الله إنك تحب العفو وأنا عبدك المقصر في حقك، أطلب عفوك ولا يملك العفو عني إلا أنت.

أي تطلب من الله أن يتجاوز عن كل ذنب فعلته ويترك عقابك، فلا يبقى لذنبٍ أثر بعد العفو.

قال ابن الأثير: «فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ -تَعَالَى- «الْعَفْوُ» هُوَ فَعُولٌ، مِنْ الْعَفْوِ وَهُوَ التَّجَاوُزُ عَنِ الذَّنْبِ وَتَرْكُ الْعِقَابِ عَلَيْهِ»^(١).

قال ابن علان الشافعي: «قوله: (قولي اللهم إنك عفو) بصيغة فعول الموضوعه للمبالغة لأبلغية عفوه -سبحانه- كيفاً وكمّاً يعفو عن

(١) النهاية لابن الأثير (٣/٢٦٥).

الكبائر غير الشرك، وعنه بعد الإسلام، وعمّا لا يعلم عدده سواه، (تجب العفو) خبر بعد خبر، أو حال من ضمير الخبر قبله، أو جملة مستأنفة أتى بها إطناباً، (فاعف عني) وفيه إيحاء إلى أن أهم المطالب انفكاك الإنسان من تبعات الذنوب وطهارته من دنس العيوب، فإنه بالطهارة من ذلك يتأهل للانتظام في سلك حزب الله وحزب الله هم المفلحون»^(١).

قال ابن رجب: «العفو من أسماء الله -تعالى- وهو يتجاوز عن سيئات عباده، الماحي لأثارها عنهم، وهو يحب العفو، فيحب أن يعفو عن عباده ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «أعوذ برضاك من سخطك وعفوك من عقوبتك»^(٢) قال يحيى بن معاذ: «لو لم يكن العفو أحب الأشياء إليه لم يبتل بالذنوب أكرم الناس عليه» يشير إلى أنه ابتلى كثيراً من أوليائه وأحبابه بشيء من الذنوب؛ ليعاملهم بالعفو، فإنه يحب العفو».

قال بعض السلف الصالح: لو علمت أحب الأعمال إلى الله -تعالى-

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٦-٦٥٧).

(٢) أخرجه مسلم بلفظ (لِلَّهِمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمَعْفَاتِكَ مِنْ عِقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ).

لأجهدت نفسي فيه، فرأى قائلاً يقول له في منامه: إنك تريد ما لا يكون، إن الله يحب أن يعفو ويغفر، وإنما أحب أن يعفو ليكون العباد كلهم تحت عفوه، ولا يدل عليه أحدًا منهم بعمل.

وقد جاء في حديث ابن عباس مرفوعاً: «إن الله ينظر ليلة القدر إلى المؤمنين من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- فيعفو عنهم ويرحمهم إلا أربعة: مدمن خمر، وعاقاً، ومشاحناً، وقاطع رحم».

لما عرف العارفون بجلاله خضعوا، ولما سمع المذنبون بعفوه طمعوا، ما ثمَّ إلا عفو الله أو النار، لولا طمع المذنبين في العفو لا احترقت قلوبهم باليأس من الرحمة، ولكن إذا ذكرت عفو الله استروحت إلى برد عفوه.

كان بعض المتقدمين يقول في دعائه: «اللهم إن ذنوبي قد عظمت فجئت عن الصفة، وإنما صغيرة في جنب عفوك، فاعف عني».

وقال آخر منهم: «جرمي عظيم، وعفوك كثير، فاجمع بين جرمي وعفوك يا كريم».

يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر

أكبر الأوزار في جنب عفو الله يصغر^(١)

(١) لطائف المعارف (ص ٢٠٥ و٢٠٦).

قال ابن مفلح: «وَمَعْنَى الْعَفْوِ: التَّرْكَ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى السَّرِّ، وَالتَّغْطِيَةِ، فَمَعْنَى «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» أَي: اتْرُكْ مُؤَاخَذَتِي بِجُرْمِي، وَاسْتُرْ عَلَيَّ ذَنْبِي، وَأَذْهَبْ عَنِّي عَذَابَكَ، وَاصْرِفْ عَنِّي عِقَابَكَ.

وَلِلنَّسَائِيِّ^(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ، فَمَا أُوتِيَ أَحَدٌ بَعْدَ يَتَيْنِ خَيْرًا مِنْ مُعَافَاةٍ» فَالَسَّرُ الْمَاضِي يُرْوَلُ بِالْعَفْوِ، وَالْحَاضِرُ بِالْعَافِيَةِ، وَالْمُسْتَقْبَلُ بِالْمُعَافَاةِ لِتَضَمُّنِهَا دَوَامَ الْعَافِيَةِ^(٢).

الزيادة على هذا الدعاء بما فيه مصالح الدنيا والآخرة:

لا شك أن الآخرة أولى من الدنيا، والدعاء بما ينفع في الآخرة لا يقارن بمتاع الدنيا، لكن لا مانع من الزيادة على هذا الدعاء الذي علمه النبي -صلى الله عليه وسلم- لعائشة -رضي الله عنها- والدعاء بما فيه مصالح الدنيا والآخرة، وقد صحَّ عن عائشة -رضي الله عنها- قولها: «لو علمت أي ليلة ليلة القدر، لكان أكثر دعائي فيها أن أسأل الله العفو والعافية». وهي بهذه الدعوة تكون قد جمعت بين الدنيا والآخرة، وهذه غاية السعادة، فمن وفق لهذا الدعاء سعد، فليكثر العبد في هذه الليلة من

(١) السنن الكبرى (١٠٦٥١) ومسند أبو يعلى (٤٩).

(٢) المبدع في شرح المقنع لابن مفلح (٣-٥٩).

قول: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» ومن دعاء عائشة - رضي الله عنها - «العفو والعافية» ولا بأس بالزيادة على ذلك بما فيه صلاح الدنيا والآخرة، ولا يغفل العبد في هذه الليلة أن يُكثِرَ فيها من الدعوات بمهمات المسلمين، فهذا شعار الصالحين وعباد الله العارفين^(١).

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -: «ولا يمنع من الزيادة على ما ورد»^(٢).

وقال - رحمه الله -: «والناس لهم طلبات مختلفة متنوعة، فهذا مثلاً يريد عافية من سقم، وهذا يريد غنى من فقر، وهذا يريد النكاح من إعدام، وهذا يريد الولد، وهذا يريد علماً، وهذا يريد مالاً، فالناس يختلفون. وليعلم أن الأدعية الواردة خير وأكمل وأفضل من الأدعية المسجوعة، التي يسجعها بعض الناس، وتجده يطيل، ويذكر سطرًا أو سطرين في دعاء بشيء واحد ليستقيم السجع، لكن الدعاء الذي جاء في القرآن أو في السنة، خير بكثير مما صنع مسجوعاً، كما يوجد في بعض المنشورات»^(٣).

(١) الأذكار للنووي (١٩١).

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦-٤٩٨).

(٣) المصدر السابق.

لماذا نسال الله العفو بعد الاجتهاد في الأعمال؟

قال الحافظ ابن رجب: وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر؛ لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحاً، ولا حالاً ولا مقالاً، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصر.

قال يحيى بن معاذ: «ليس بعارفٍ من لم يكن غاية أمله من الله العفو».

إن كنت لا أصلح للقرب فشأنك عفو عن الذنب
كان مطرف يقول في دعائه: «اللهم ارض عنّا، فإن لم ترض عنّا فاعف عنّا».

من عظمت ذنوبه في نفسه لم يطمع في الرضا، وكان غاية أمله أن يطمع في العفو، ومن كملت معرفته لم ير نفسه إلا في هذه المنزلة.

يا رب عبدك قد أتاك
ك وقد أساء وقد هفا
يكفيه منك حياؤه
من سوء ما قد أسلفا
حمل الذنوب على الذنوب
ب الموبقات وأسرفا

وقد استجار بذيل عفو ك من عقابك ملحفًا
رب اعف وعافه فلأنت أولى من عفا^(١)

فائدة:

قال الألباني - رحمه الله -:

«(تنبيه): وقع في (سنن الترمذي) بعد قوله: (عفو) زيادة: (كريم)! ولا أصل لها في شيء من المصادر المتقدمة، ولا في غيرها ممن نقل عنها، فالظاهر أنها مدرجة من بعض الناسخين أو الطابعين؛ فإنها لم ترد في الطبعة الهندية من (سنن الترمذي) التي عليها شرح (تحفة الأحوذى) للمباركفوري (٤/ ٢٦٤)، ولا في غيرها. وإن مما يؤكد ذلك أن النسائي في بعض رواياته أخرجه من الطريق التي أخرجه الترمذي، كلاهما عن شيخهما (قتيبة بن سعيد) بإسناده دون الزيادة»^(٢).



(١) ابن رجب لطائف المعارف (ص ٢٠٦).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧- ص ١٠١١ و١٠١٢).

إضاءة وختام

فكم سعد في هذه الليلة أقوام!

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله -:

قالت عائشة - رضي الله عنها - : «يا رسول الله: إن وافقت ليلة القدر فبم أدعو؟ قال: قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني».

هكذا كانت حالة الصفوة الأخيار، يتنافسون في هذه الليلة، ويلتجئون إلى الملك الغفار.

أما يحق لك أيها المؤمن أن تجرد قلبك في هذه الليلة من جميع الأشغال، وأن تقبل بكليتك إلى طاعة ذي العظمة والجلال، وأن تعترف بذنوبك وفاقتك وافتقارك، وأن تتوسل إليه مخلصاً في خضوعك وانكسارك؟ تقول: يا رب قد عظمت مني الذنوب، يا رب قد تكاثرت علي الخطايا والعيوب، يا رب أنا الفقير المعدم المضطر إليك، يا رب لا ملجأ منك إلا إليك، إن رددتني من يقبلني؟ وإن خيبتني من يصلني؟ وإن حرمتني من يعطيني؟ وإن أبعدتني فمن الذي يقربني ويدنيني؟ لا رب لي غيرك، ولا إله لي سواك، ولا أستعين بغيرك، ولا أعبد إلا إياك. أنت الذي خلقتني ورزقتني، وأنت الذي واليت علي النعم وعافيتني. آلاؤك تتوالى

الليل والنهار، ونعمك ليس لها حد ولا منتهى ولا انحصار. أرجوك في هذه الليلة الكريمة أن تغفر ذنوبي، وأن تصلح فاسدي وناقصي وعيوبي، وأن تسعفني يا مولاي بمطلوبي.

ويحق لك أن تدعو بدعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي جمع خير الدنيا والآخرة، وشمل حصول النعم الباطنة والظاهرة، فتقول: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة لي من كل شر، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت»^(١) لعلك تصادف ساعة إجابة تسعد فيها سعادة لا تشقى بعدها، ولعلك توافق نفحة من نفحات الكريم تصلح أمورك بها. فكم سعد في هذه الليلة أقوام؟! وكم لله فيها من جزيل الفضل وواسع الإنعام؟! وكم أعتق فيها المسرفون من النار؟! حين أخلصوا لربهم وأكثروا من التوبة والاستغفار، وكم صفى فيها للصفوة من قلوب نيرة وأسرار؟! وكم

(١) هذا الدعاء ورد في صحيح مسلم (٢٧٢٠) إلى قوله: (والموت راحة لي من كل شر) وما أورده الشيخ بعده من دعاء إلى قوله: (وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت) فهو في حديث آخر منفصل عن هذا أخرجه أحمد (٢٠٤٣٠) وأبو داود (٥٠٩٠) والنسائي في السنن (١٠٤١٢) والبخاري في الادب المفرد (٧٠١).

أغدق على قلوبهم من المعارف العالية فصاروا من خيرة الأبرار؟!
اللهم وما قسمت في هذه الليالي المباركة من خير وبر وفضل
وإحسان فاجعل لنا منه أوفر الحظ وأشمل الامتنان، وما قسمت فيها
من شر وبلاء فاصرفه عنا في كل وقت وأوان، اللهم خذ بنواصينا إليك،
وأقبل بقلوبنا عليك، ولا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا، يا أرحم
الراحمين^(١).



(١) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية (١- ١٧٢).



الفهرس

- المقدمة ٥
- تاج الليالي ٩
- سيدة الليالي ١٠
- وأيهما أفضل: ليلة القدر أو ليلة الإسراء؟ ١٢
- الليلة المباركة فليكن لك من بركة هذه الليلة أوفر الحظ والنصيب ١٥
- الليلة المباركة المحروم من حرم بركة هذه الليلة ١٦
- ليلة الشرف والفضل اكتسب القدر والشرف والفضل العظيم في ليلة القدر ٢٢
- اصعد إلى قمة الشرف والفضل بإحياء ليلة القدر ٢٣
- الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ٢٦
- الليلة التي تكتب فيها الأقدار والأرزاق والآجال ٢٧
- لماذا سُمّيت ليلة القدر بهذا الاسم؟ ٣٠
- ليلة نزول القرآن العظيم ٣٣
- ليلة نزول القرآن العظيم ٣٤

- ٤٠ المشوق إلى فضل ليلة القدر
- ٤١ التشويق إلى ما في ليلة القدر من الخير العظيم
- ٤٥ فضل ليلة القدر المدهش للعقول
- ٤٦ الفضل المدهش للعقول والمحفز للنفوس لإدراك ليلة القدر
- ٦٢ ليلة نزول الملائكة ومعهم جبريل -عليه السلام-
- ٦٣ المشهد العظيم لمن كان له قلب نزول الملائكة وجبريل ليلة القدر
- ٦٨ ليلة السلام
- ٧٣ ليلة المغفرة
- هل لا بد من قيام كل الليل بالصلاة حتى نحصل على مغفرة الذنوب؟
- ٧٥
- من شرط غفران الذنوب أن يكون القيام إيماناً واحتساباً
- ٧٩ فما المراد بالإيمان والاحتساب؟
- ٨٠ هل تشمل مغفرة الذنوب الكبائر والصغائر؟
- ٨٣ مغفرة ما تأخر من الذنب
- ٨٦ كيف تكفر الذنوب المتأخرة؟
- ٨٩ أمارات ليلة القدر

- ٩٠ العلامات التي تعرف بها ليلة القدر
- ٩٥ معرفة ليلة القدر عن طريق الرؤيا
- ٩٧ أصح العلامات الدالة على ليلة القدر
- ٩٩ لماذا تكون الشمس لا شعاع لها صبيحة ليلة القدر؟
- ما الفائدة من معرفة هذه العلامة وهي لا تعرف إلا بانقضاء
الليلة؟
- ١٠٢ هل الثواب والفضل الخاص بليلة القدر لا يناله إلا من علم بها
وشعر بها؟
- ١٠٦ من علمها هل يخبر بها أو يكتمها؟
- ١١١ اطلب ليلة القدر في العشر الأواخر
- ١١٢ التمس ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان
- ١٢٠ وقفة مع خلاف العلماء في تعيين ليلة القدر
- ١٢٢ ليلة سبع وعشرين
- ١٢٦ بدعة صلاة القدر
- ١٢٧ إذا أردت أن تدرك فضل ليلة القدر فاحذر المخاصمة والمشاحنة
- ١٢٩ الاعتكاف من أقوى الأسباب لإدراك ليلة القدر

- ١٣٢ الحِكْمَة من إخفاء ليلة القدر
- ١٣٤ استِحْبَاب الاغتسال والطيب ليلة القدر
- ١٣٨ الاحتفال بليلة القدر
- ١٤٠ الحائض والنفساء في ليلة القدر
- ١٤٤ أفضل ما يطلبه العبد من ربه في ليلة القدر
- ١٤٥ أفضل ما يقال ليلة القدر
- ١٤٨ اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوفٌ مُجِيبٌ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي
- ١٥٣ لماذا نسأل الله العفو بعد الاجتهاد في الأعمال؟
- ١٥٥ إضاءة وختام
- ١٥٩ الفهرس

